

معلقه
الام موسى

الأدب والحياة

دار النشر المصرية

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

سليم موسى

الأدب والحياة

الناشر

دار النشر المصرية

٤٧ شارع عبد العزيز - القاهرة

منهج - وكاتب

- ولد سلامه موسى بقرية من قرى مديرية الشرقية عام ١٨٨٧ .
- توفي والده - ولم يتم السنين - عن ثروة متوسطة ، ورعاه قريب شريف وأم عطوف .
- درس بالمدارس المصرية ، ثم اتجه إلى إنجلترا للدراسة القانون . . القانون البريطاني الذي يقوم على العرف والتقاليد . . .
- لم يطق دراسة القوانين البريطانية لنزعتها الاستبدادية التي تعادى روحه المتحرر ، واعتمادهما على الخرافات . فجهزها إلى دراسة الآداب والفنون والعلوم الطبيعية ، وفي مقدمتها النظرية التي غيرت الفكر الأوربي ، ونهضت به النهضة الثانية ، وكانت خميرة الحضارة المعاصرة . . . وهي نظرية التطور .
- إعتد في دراسته الذاتية في إنجلترا على المحاضرات الثقافية العامة في مدرجات الجامعات والندوات الشعبية التي كان يعقدها الكتاب الأجرار ، والاتصال الشخصي بهم . . . فتعلم على أيدي قادة الشعب الحقيقيين دعاة التقدم ، وعلى

- المشاهدة الواعية لنضال الجماهير الأوروبية – في أوائل هذا القرن – للحصول على حقوقهم الاقتصادية والسياسية .
- أول مؤلفاته « مقدمة السبرلمان » ، سنة ١٩٠٩ كتبها وهو طالب في لندن . وهي رسالة صغيرة أعلن فيها أنه اشتراكي يؤمن بالتطور ومادية الكون .
- أول مقال له في الصحف هو « نيتشه وإبن الإنسان » ، نشر في المقتطف سنة ١٩٠٩ .
- عاد إلى الوطن ، واشتغل معلماً بمدرسة ابتدائية بالزقازيق ، ثم بمدرسة ثانوية بالقاهرة .
- كتب سنة ١٩١٢ كتاباً عن الاشتراكية .
- أصدر سنة ١٩١٤ أول مجلة أسبوعية مصرية باسم « المستقبل » .
- التحق أثناء إقامته بلندن بالجمعية الغايبية الاشتراكية نواة حزب العمال ، وكذلك قرأ كل مؤلفات جمعية العقليين الذين يرون أن السيادة يجب أن تكون للعقل الإنساني والفكر العلمي ، وإلغاء الفلسفات التي تخدر الشعوب : فلسفة الفقر . . . واليأس . . . وشعور الإنسان بالذنب . . . لأنه إنسان . . .
- تأثر يابسنن رائد المسرح الاجتماعي ، الذي جعل المسرح مدرسة ومصحة . . . لدراسة وعلاج مشاكل المجتمع .

- درس مؤلفات برناردشو داعية الفكر العلمى ، ومؤلفات ويلز ذا النظرة العالمية .
- تبلغ مؤلفاته حوالى الأربعين كتاباً ، عدا مئات المقالات والقصص ، وتوجه كلها للدعوة إلى أن يكون للأدب والفنون رسالة هي تطوير عواطف الشعب ، كي يحمل - واعياً - مسئولياته في عصر الذرة والإشراكية :
- يؤمن بأن الحرية هي أساس الحضارة الإنسانية فإذا انطقت الحرية تعطل سير الإنسان إلى مرحلة أرقى .. بل تتجه البشرية حتماً إلى الحروب والمجاعات ، وكل ضروب الدمار والاستبداد.
- أصدر ما يزيد على خمسة عشر مجلة وجريدة ، وكان يقطن ومطبعته في الحارات ... بين الشعب .
- أول من كتب بالعربية عن الإشراكية . والتفسير الاقتصادى للتاريخ .. والتحليل النفسى .. وآراء ميشورين وليسنكو السوفيت فى الزراعة .
- أدخل على اللغة العربية - وحده - مئات الكلمات الجديدة التى جرى استعمالها ، أكثر مما أدخله بجمع اللغة العربية منذ إنشائه . ومن الكلمات التى اخترعها : التطور ، والثقافة ، والوعى ، والموטר ، والحيوانات البرمائية ، والأدب اليسارى ، وغيرها .
- كتب منذ ثلاثين عاماً - كتابه نظرية التطور وأصل

الإنسان فأوضح لقراء العربية في أسهل عرض وأسلم صياغة
أن التطور! قانون على يشمل المادة . . والكون . . والنبات
والحيوان والانسان . . واللغة . . والأفكار . . والعقائد .
والأديان مع اختلافها . . والفلسفة . . والنظم الاقتصادية
إقطاعية أو اشتراكية . . والنظم الإجتماعية كالأسرة والزواج
وأن ماتحت الشمس متجدد ومتطور ، والمادة أو الحى الذى
لا يتطور يفنى أو ينقرض .

● دعا الشباب المصرى - فى كتبه ومقالاته ومحاضراته - إلى
أن ينظر إلى المشكلات العامة فى بلاده ، وإلى المشكلات الدولية
باهتمام يفوق اهتمامه بمشكلاته الشخصية ، لأن العالم هو قريننا
الكبرى . . كل منا مسئول عن سلامتها وتنسيقها . . مسئول
عن تحرير العالم من الاستعمار واستغلال أى إنسان لغيره ،
ومسئول عن نقل الحضارة الذرية إلى أبنائه فى مرحلة أرقى
● داعية الحب . . والتفاؤل . . وأن الإنسان يمكنه أن يمتد
يارادته إلى عمر أكبر ، لو أزال مخاوفه من الغيبات والخرافات
واستخدم العلم . وألغى الفلسفة الرجعية التى تدعوه إلى
احتقار الحياة !

● عاش واعياً بأحداث مصر السياسية منذ الثورة العرابية والاحتلال
البريطانى ، وكتب عن عرابى فقال : « شخصية عرابى هى
شخصية مقدسة فى تاريخنا ، .

● دعا إلى تحرير اللغة العربية من السجع والزخرفة .. وتحرير الفكر المصري من النزعة الفردية ، والنفاق بمدح الحكام والمستبدين . ودعا إلى تحرير المرأة وخروجها إلى العمل مع الرجل كي تكتسب حقها في المساواة الاقتصادية .. ثم المساواة السياسية نأخبة ، ونائبة ، ووزيرة .

● سأم بقله .. وماله .. وحرية في كل الحركات السياسية والاجتماعية والأدبية التي صعدت بالشعب المصري خلال نصف قرن الأخير .

● كان أحد المؤسسين للحزب الاشتراكي في مصر سنة ١٩٢٠ . وقد ألغاه سعد زغلول رئيس الوزراء سنة ١٩٢٤ ، وقبض على أعضائه — ومنهم سلامة — وحاكهم ١١ .

● أنشأ سنة ١٩٣٠ مع مجموعة من الوطنيين المصريين جمعية «المصري للمصري» ، لتشجيع التصنيع المصري ، ومقاطعة البضائع الاستهلاكية الأجنبية .

● وحين تولى صدقي الحكم سنة ١٩٤٦ للتكامل بنصوم الاستعمار والإقطاع والسراي ، وعرقة الثورة الوطنية ، قبض على مئات الأحرار المصريين وفي مقدمتهم الدكتور محمد مندور وسلامة موسى . وحققت معها النيابة — بصفة خاصة — بتهمة «محاولة قلب نظام الحكم من الملكية إلى الجمهورية» ١١ .

- حقت النيابة مع سلامه وقتذاك لأنه قال في إحدى مقالاته :
 إن في مصر من يعيشون بألف جنيه في اليوم ، ومن يعيشون
 بثلاثة قروش في اليوم ، وأحياناً لا يجدون حتى هذا المبلغ ، ١١ .
- في السنوات التالية لحرب فلسطين : أطبق الاستبداد أنيابه
 على سلامه موسى (بعد الإفراج عنه من سجنه حيث أودعه
 صدقي) . . . فامتعت الصحف عن نشر مقالاته . . . وأمر
 البوليس السيامي المطابع بالكف عن طبع كتبه . . . واعتبر
 البوليس السيامي والمحققين هذه الكتب « أدلة شيوعية ، ١١ .
 وفي هذه الفترة لم يتجاوز دخله الشهري من الصحافة
 خمسة جنيهات (١١) بينما أفدقت السراى والحكومة من
 خزينة الشعب مئات الآلاف من الجنيهات على الكتاب
 والصحف الذين كانوا يهاجمون الشعب ، ويبذرون في نفسه
 عقائد اليأس والطاعة للاستبداد .
- وفي هذه الأيام السوداء في حياة مصر – وكان الاستبداد قد
 ضيق عليه وسيلته الوحيدة للعيشة . . . وهى العمل الصحفي
 والأدبى ، أضاء سلامه صفحات إحدى الجرائد القليلة الرواج ،
 وإحدى المجلات الإقليمية ، بمقالاته النارية ضد الاستعمار
 والإقطاع والعنصرية . . . والدعوة لتأميم قناة السويس . . .
 والبترول . . . والقطن . . . والتصنيع .

● إذا كتب أديب حياته ، كشفت إعرافاته عن مضمونه الفلسفي :
فلسفته الكفاحية أو الرجعية .. المتفائلة أو اليائسة .

وكتاب « تربية سلامة موسى ، هو حياته الشخصية ، وما فيها
من تجارب .. بسطها في صدق وسذاجة .. وهذا الكتاب
هو تاريخ الكفاح الشعبي في مصر خلال نصف القرن الماضي ...
هذا الكفاح الذي انجذب إليه سلامة ، فتأثر به وأثر فيه ..
ويؤمن أعمق الإيمان أنه صائر حتما إلى ماسارت إليه أوروبا ..
إلى الاشتراكية .

● نقل مضمون الصحافة المصرية ولغتها .. من الاهتمام بالموضوعات
المتعة التافهة ، واللعب بالألفاظ ، وامتداح الملوك والماليك ..
إلى الاهتمام بالحضارة الأوروبية والمبادئ الاشتراكية .

● يعتبره الرجعيون والمستبدون .. خصوم التقدم وحرية
الشعب ، القلعة الأولى لدعاة الصناعة والديموقراطية .

● يرى قراء سلامة موسى الكثير من الأخطاء والمتناقضات في
أفكاره وهؤلاء القراء - أنفسهم لا يرون أى خطأ في أفكار
كاتب ما من الكتاب الذين يستلهمون الماضي ١١ .

والعلة في هذا أن القارئ لسلامة موسى يشعر بالتغير والتطور
الذاتي ، ويحس اليقظة والوعي .. فيلاحظ هفوات سلامة
الفكرية ، وقد يبالغ هذا القارئ في تقديرها وتفسيرها .

أما الكاتب الآخر فإنه يتعلق الأفكار السلفية التي تسود الحاضر
وتعوقه ولهذا الأفكار قد استهيا ، فيشعر القارىء بلذة وتخيير
بمنعانه عن كشف ما يكمن فيها من الرجعية والعفن .

• كتب كتاباً أو أكثر عن كل موضوع يهم الإنسان في هذا
العصر : كتب عن التطور ... والحب ... والثورات ...
والأدب العربى ... والأدب الانجليزى المعاصر ... وسيادة
العلم ... والنهضة الأوربية ... والقصص الرومى الحديث ...
والحركة الهندية ... وحرية العقل ... والثقافة العصرية ...
ومشاكل الشباب الجنسية والنفسية ... ومحاربة العصرية ...
والإنسان الذى أدرك ذاته فى الكون .. وسيطر على الطبيعة ..
وحلم بالسلام الدائم .. وعمل على تحقيق مستقبل يخلو من
الظلم والظلام .

• تلخص دعوته فى : الثورة .. والصناعة .. والديموقراطية ..
والاشتراكية ؟

يوسف أحمد حموده

١٩ أبريل سنة ١٩٥٦



مقدمة

حوالى ١٩٢٣ كنت أحرر الصفحة الافتتاحية لإحدى المجلات
الأسبوعية . وبقيت على ذلك إلى أواخر ١٩٢٩ . وكنت أتوخى
فيها مخاطبة الشباب وأنبههم إلى حقائق الحضارة ومعاني الثقافة .
وكان استعدادى لهذا الموقف ، موقف الإرشاد للشباب ، أنى
أقمت فى أوربا نحو خمس سنوات أتأمل وأفكر فى الأسباب
والعوامل التى رفعت الأوربيين حتى حصلوا على الثراء والقوة والعلم
فى حين تأخرنا نحن عن كل ذلك .

فكنت أكتب هذه الفصول فى شرح ما فهمت من هذه
الحضارة الأوربية . وفى ١٩٣٠ جمعت بعض هذه الفصول وأصدرتها
كتاباً بعنوان « الحياة والأدب » . وفى هذا العام ١٩٥٦ ، طلبت
إلى « دار النشر المصرية » أن تعيد طبع هذا الكتاب . فعدت إليه
كى أنصفحه وأحذف منه ما تغيرت قيمته أو سقطت بمرور هذه
السنين . واخترت ما بقيت قيمته ، ثم أضفت الفصول السبعة
الأخيرة التى كتبتها بعد ١٩٥٠ مما يتفق مع الفصول السابقة التى
كتبتها قبل نحو ٣٠ سنة .

و حين أتأمل الكتاب أجد أن وحدة الهدف واضحة في جميع
فصوله . إذ هي تنوير وتبصير بالحضارة والثقافة ودعوة إلى التغيير
والتطور .

وأول ما التفت إليه ، حين كنت في أوروبا ، أن هذه القارة إنما
سادت سائر القارات بحضارة الصناعة التي تغذوها ثقافة العلم . وأنه
ليس هناك من فروق بين مصر وبريطانيا أو مصر وفرنسا سوى
هذا الفرق . وهو أننا نعيش على الزراعة في الأكثر بينما يعيش
الانجليز والفرنسيون على الصناعة . فهم أثرياء ونحن فقراء . وهم
يعرفون العلوم ونحن نجهلها . وهم أقوياء ونحن ضعفاء . وإذا نحن
أخذنا بالصناعة فإننا نصير مثلهم سواء في القوة والثراء والعلم .

وكانت « نظرية التطور » ، بجميع مركباتها المادية والاجتماعية
قد لا بست تفكيرى منذ شبابى . فوجدت فيها إلهاماً ونوراً .
ودعوت إليها في حرارة ، خاصة وأنى وجدت بلادنا تستمسك
بتقاليد خانقة تعوق تقدمنا وارتقاءنا وتجرنا إلى الماضى بينما الأمم
الناهضة تثب إلى المستقبل .

والمستقبل حياة والماضى موت .

وكانت للبرأة مقام أسمى في كل تفكيرى الارتقائى لبلادنا .
ولذلك كتبت وألفت الكتب في ضرورة مساواتها بالرجل ليس .

في الحقوق فقط بل في الواجبات حتى تختبر الدنيا وتعيش إنساناً
مجرّباً عارفاً حكماً كالرجل سواه . ولذلك يجب أن تزامن الرجل
في المدرسة والمصنع والمتجر والمكتب .

وجدت أن مكافئتنا للاستعمار الأجنبي لن تكون ناجحة كاملة
إلا إذا كلفنا الرجعية المصرية الخائفة . ولذلك لم أهمل الدعوة
إلى الآراء العصرية في الأخلاق والعقائد .

ومنذ شباني وأنا على يقين بأن الحضارة الأوروبية ليست هي
الكلمة الأخيرة في تاريخ الحضارات وإنما هي فترة انتقال من
الانفرادية البغيضة إلى الاشتراكية السخية . ولم أنكر يوماً ما
هذا المذهب الذي جلب على كثيراً من المتاعب من دعاة الظلام
من الرجعيين المصريين والمستعمرين الانجليز .

والقارىء لهذا الكتاب يجد آرائى مبسطة موجزة . فإذا شاء
التعمق فليقرأ مؤلفاتى الأخرى ؟

سلامه موسى

١٩٥٦

فهرست

منحة	منحة
٨٦ ماري	٣ منهج وكاتب
٨٩ هل اخترعت مصر الحضارة	١١ المقدمة
٩٣ أغانينا	١٧ فتوحات العلم
٩٦ في الأدب العالمي	٢٠ من هو العظيم
٩٩ تربية الفتاة	٢٣ حقوق الطفل
١٠٢ عدو الظلم والاضطهاد	٢٦ روح التسامح
١٠٦ القرية المصرية	٣٠ كيف وماذا نقرأ
١٠٩ قصيدة الحياة	٣٣ الفتاة الحديثة
١١٢ كيف نربي أنفسنا	٣٦ فلنكن عظماء
١١٥ سعد والشبيبة	٣٩ مصلحتك هي مصلحة الجماعة
١١٨ في الصحافة	٤٢ الغاية من الحياة
١٢١ مصر مركز الثقافة	٤٥ ميراث الأبناء
١٢٤ هزيمة الأدب السخيف	٤٨ المرأة أساس الحضارة
١٢٧ الإيمان بالإنسان	٥١ سوط الاحتقار
١٣١ في الحب	٥٤ الشيخ الشاب
١٣٣ عند ما تزيد حياتنا	٥٧ الاستقلال الروحي
١٣٨ كنهة من طراز جديد	٦٠ لا جديد تحت الشمس
١٤١ أربطوا شبابنا بالحب	٦٣ هذه الدنيا
١٤٥ ثلاث تهم توجه لسقراط	٦٧ الحياة الطفيلية
١٥٠ جو الحب	٧١ العلم والأدب
١٥٤ فلنعلم شبابنا الحب	٧٥ أنجر الأثاث
١٥٧ اختر أرملتك	٧٩ الروح الانجليزية
	٨٣ تنقيح الصلاة الانجليزية

الأدب والحياة

فتوحات العلم

لو أن إنساناً أراد أن يعيش في مفاجآت متوالية من مخترعات ومكتشفات لما وجد أوفق من هذا العصر الذي نعيش فيه . فلا جرم أننا نعيش في عصر العجائب . ولسنا نعني بذلك أننا أسعد حالاً من آباؤنا وإنما نحن ننظر إلى الحياة بخلاف ما كانوا ينظرون إليها . نحن ننظر إليها باعتبارها معملًا كبيراً للتجارب نجرب فيها كل ما يخطر لنا في بال فإن نجحت التجربة فذاك وإلا فنحن عائدون إلى تجربة أخرى ، ومن هنا كثرة ما يجد كل يوم في ميدان الصناعة والعلوم . أما آباؤنا فكانوا ، كبعض الأمم الشرقية الآن ، يقنعون بما صنعه لهم السلف الصالح ولا يعارضون في القديم المألوف . ومن هنا فلة اختراعاتهم .

هأنذا أحد الناس أذكر أنه قد جد في حياتي أكثر من عشرة مخترعات ومكتشفات . لقد رأيت الأوتومبيل لأول مرة في القاهرة وأنا طفل وعدوت وراهه مع سائر الأطفال لكي أنظر إليه وسمعت من حولى وهم يتعجبون من براعة هؤلاء الإفرنج الذين يجعلون الجناد يجرى في الشوارع . ثم هأنذا قد سمعت بأذن هذا العام وأنا في القاهرة أصواتاً حملها الأثير بلا أسلاك من لندن .

أجل . أنت جبل الثقافة متصل من السلف إلى الخلف .
ولكننا في حاجة من وقت لآخر إلى الشك في حكمة هذا السلف
وإلى الخروج على بعض مبادئه وإلى أن نجعل العقل فوق النقل .
إذ بذلك ارتفعت أوروبا . وبالعكس ذلك تأخر الشرق . ومن هنا
نجد أن عصر العجائب هو عصر الأوربيين أما الشرقيون فلا شأن
لهم في هذه العجائب .



أليست هاتان عجبتين؟ وهل أحتاج إلى ذكر الطائرات التي تحمل هذه الصحيفة أحياناً إلى بغداد؟ أو هل أحتاج إلى ذكر عجائب التلغراف اللاسلكي أو إلى ذكر الذرات التي تخيل الأغر يق وجودها وصار العلماء الآن يقيسونها ويزنونها؟

ثم ماذا نقول عن المعالجة بالغدد التي فتحت فتحاً جديداً في الطب وتكاد تجعل الشباب يغارون من الشيوخ والتي ربما سيطول عمر الإنسان بواسطتها إلى أكثر من مائة سنة؟
أليس كل هذا عجيباً؟ ثم يجب ألا ننسى أعجب العجائب: روسيا التي محت الماضي من الوجود وصارت تنظر إلى الحكومة والعائلة والتعليم والمال كأنها أشياء قابلة للتجربة.

وما من تقدم حديث في العالم إلا وكان نتيجته الخروج على المؤلف وابتكار الشيء الجديد. ولولا هذا لما كان اختراع أو اكتشاف.

ولكن يجب مع ذلك ألا نغتر فنعتقد أننا في جدينا قد فقنا السلف وخرجنا عليه؟ فإما نحن نبنى على أسس. حتى ثوراتنا وانقلاباتنا إن هي إلا تطور كانت لهم فيه البديهة. فجميع بذور المخترعات الحديثة ظهرت في القرن التاسع عشر وهذه البذور نفسها لم تكن لولا أن أبناء القرن الثامن عشر قد هياؤا لها التربة. وهكذا إلى من قبلهم.

من هو العظيم

حدث مرة أن جريدة الماتن استفتت قراءها عن أعظم رجل فرنسي خدم فرنسا؟ فجاءتها الخطابات تترى من جميع الانحاء وجميع كاتبيها غبورون على أن يكون عظيمهم عظيم الأمة بأجمعها . وكان المنتظر أن نابليون سيفوز بأكثر عدد من الأصوات ولكن جاءت النتيجة عكس هذا المنتظر وظهر على قمة العطاء شخص قد لا تكون قد سمعت بأسمه هو باستور .

ومن باستور هذا الذى أربت أصواته على الأصوات التى نالها نابليون؟

باستور رجل وضع الأصل اشتغل بالعلم فعرف الميكروب وأوجد مصلا لمرض الكلب وعالج كروم فرنسا من وباء كان يفتك بها واهتدى إلى طريقة لتطهير اللبن . وهذه الأشياء الوضيعة أدرك الشعب الفرنسى أنها أكبر من المعارك العظيمة التى خاضها نابليون ورفع بها شأن فرنسا الحربى . ولذلك حكم لباستور بالتفوق فى العظمة .

فالشعب الفرنسى يقول بصريح القول أن العظمة هى الفائدة التى تعود على الأمة من العظيم الذى ينشأ بينها . وعظمة نابليون

ليست سوى طبل أجوف رنان لا فائدة فيه . فان فرنسا كانت في بداية تسلبه مقاليدها أكبر مما كانت عند ما انهزم وأسرته الانجليز ونفوه بعد أن كبد الفرنسيين نحو مليون قتيل . وأما باستور فانه أنفذ ثروة الوطن ووقى الأطفال من الموت أو خفض آلام المرضى وفتح للطب فتحاً عظيماً . وإذا كان الأطفال يستهويهم ذكر نابليون ويتغنون بمدحه ويصلصون بسيفه فان الرجل الذكي لا يرى مندوحة من أن يحكم بالعظمة الحقيقة لباستور دون نابليون .

وما أحرانا نحن في مصر أن نراجع أنفسنا ونعيد النظر في تقدير عظمتنا ومقدار الفائدة التي عادت من كل منهم على بلادنا . ولكن كيف نقيس هذه الفائدة ؟

أن العظيم يجب أن يكون هو الرجل الذي كسب للأمة حقوقاً لم تكن لها من قبل . وهو الرجل الذي وجه العقول إلى وجهة وطنية مصرية بعد أن كانت قوميتها متلاشية في فرضي الأفكار التي ورثناها عن الممالك . وهو الذي رفع التعليم . وهو الذي نظم للبلاد طرق الري والصرف ورفع مستوى الصحة .

ولسنا نعين شخص هذا العظيم الآن وإنما يجب أن نقيسه بمقدار الفائدة التي عادت من وجوده على البلاد . فإذا قيل لك أن هذا الرجل أو ذلك عظيم فاسأل ماذا فعل للبلاد وما هو الربح الحقيقي الذي جنته منه ؟ ولو سئلت أنا هذا السؤال لأجبت بأن العظيم في مصر

هو الذى ينقذ الفلاحين من البلهارسيا والانكستوما . وهو الذى
يعمم التعليم الحقيقى لا تعليم القرون الوسطى وهو الذى يبتكر لنا
طريقة لعمل الأسمدة الكيماوية وهو الذى يحقق استقلالنا .
وأخيراً هو الذى يوجه الأمة نحو الحضارة الأوربية . وبعبارة
أخرى نقول أن العظيم هو من أشبه باستور بتواضعه ومثابرتة
على خدمة أمتة فى الشؤون الصغيرة وليس هو نابليون بجميع ما فيه
من طبل أجوف رنان . فبلادنا مثلاً مفتقرة إلى الصناعة يضيع قطننا
كل عام بأبخس الأثمان ثم نعود فنشترى بعضه بأرفع الأثمان .
فالعظيم حق العظة هو ذلك الذى يستطيع أن يعلم الفلاح كيفية
غزل القطن ونسجه ويوجد فى البلاد حركة صناعية تضمن لنا
حياتنا الاقتصادية .



حقوق الطفل

الطفل أعجز مخلوق عن المطالبة بحقوقه ولكن له مع ذلك حقوقاً يجب على الهيئة الاجتماعية أن تحافظ له عليها . فهو الآن طفل وهو غداً رجل .

وليس من الحق أن نقول أنه يحصل الآن على حقوقه لأنه لو كان هذا حقاً لما مات من الأطفال عندنا . في الألف ولما شب منهم عدد كبير وهم عريان أو ناقصون من بعض الكفايات . فللطفل حقوق أهمها أن يعيش في صحة وفي رفاة حتى يقضى أيام طفولته . وليست صحة الطفل بالأمر الهين فانها يجب العناية بها قبل أن يولد بسنوات إذ ليس كل إنسان جديراً بأن يكون أباً للأطفال . فالأبلة والمريض كلاهما يجب أن يمنع من ولادة الأطفال لأن للطفل الحق في أن يولد صحيح الجسم وما دام أبواه أو جداه مريضاً فهو لن يحصل على الصحة . ثم من حقه بعد أن يولد من أبوين سليمين أن يعنى به في لباسه وغذائه وراحته . فلكل طفل أن يطالب المجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه بأن تكون أمه قد تعلمت وقد أحسنت تربيته حتى لا تثقل عليه باللباس فترهقه ولا تهمل نظافته فتؤذيه ولا تفسد غذاءه بالكثرة أو بالقلة فينشأ ضعيف

الأمعاء عرضة لعدة أمراض . فللطفل أن يطالبنا قبل أن يولد بأن تكون أمه متعلمة لا تؤمن بالتمائم والرقى وتهمل الطب . وله أن يطالبنا بالألا نسمح لامرأة بأن تلد ولداً إلى هذا العالم إذا كانت لاتزال تعتقد أن غسل العين الرمداء يؤذيها وأن وفرة الملابس على الطفل تمنع عنه البرد وأن الرأس يجب أن يترك بلا غسل حتى يعمه القرع هذه هي حقوق الطفل لكي ينشأ صحيحاً ، وله حق آخر في أن يعيش في رفاهية وفي راحة . فليس من حق الوالدين أن ينيهاه على سرير قدر أو يفسدا عليه مزاجه بالضوضاء أو يخرج المكان أو بالإفراط في التقبيل أو التجميش . لأن الطفل ليس لعبة للأبوين يتسلان بها بل هو إنسان قبل كل شيء من حقه أن يعامل أحياناً بالجد وعلى الدوام بالعدل

ومن حق الطفل الذي لاتستطيع أمه إرضاعه أن تعنى الحكومة باللبن الذي يباع له في السوق . وليس معنى عناية الحكومة أن تجعل بائع اللبن المغشوس يدفع غرامة بسيطة يخرج بعد الحساب منها راجحاً . ولو كنا نحن البالغين نشترى الخبز مخلوطاً بنشارة الخشب ولم نجد من الحكومة عقاباً للخباز سوى الغرامة لقمنا بالثورة الجامعة عليها ، وليس الخبز المغشوس بأفد لأجسامنا من اللبن المغشوش لأجسام الأطفال

لقد سمعنا كثيراً عن واجبات الأبناء للآباء أفما آن الزمان لأن

نسمع شيئاً عن واجبات الآباء للأبناء؟ إن بين الآباء من يمارس
قتل الأبناء على غير وعى منه ويظن مع ذلك أنه لن تتعلق به تبعه
لأنه لم يقصد إلى موت أبنائه . ولكن التبعة كلها فوق رأسه . فهو
إذا كان مريضاً وجب أن يكف عن التناسل ويترك هذه المهمة
للأصحاء . وإذا كان جاهلاً بتربية الطفل وجب أن يتعلم
إن في البلاد جمعية للرفق بالحيوان . وكثيراً ما نجد ونحن
بازاء أولئك الأطفال الذين يغطى عيونهم الذباب وتسيل خدودهم
شحوباً وصفرة إتنا في حاجة إلى جمعية رفق بالأطفال تنزع هؤلاء
الأطفال من آباتهم لأنهم غير جديرين بالإبوة غير قادرين واجباتها
حق قدرها بل ولا شيئاً منها

روح التسامح

ربما كان القارىء يجهل أن النظام البرلماني إنما يقوم على أساس التسامح وينجح بمقدار ما في الأمة من روح التساهل في الآراء والمذاهب . لأن هذا النظام يقضى بحكم الكثرة وخضوع القلة لها ريثما يدور الزمن وتعود القلة إلى كثرة . فلو تشددت القلة في التمسك برأيها وأبت الخضوع لرأي الكثرة لانهدم النظام البرلماني من أساسه وسادت الفوضى مكانه . ومن هنا تجد أن الأمم العريقة في هذا النظام مثل إنجلترا يختلف أعضاؤها برلمانها جد الاختلاف في الرأي فلا تسمع من أحدهم كلمة بذيئة في حق الآخر . وهذا على خلاف ما يحدث في الأمم التي جد فيها هذا النظام على أساس استبداد قديم سابق حيث تبلغ الخصومة السياسية حد الضرب والقتل كما كان يحدث إلى عهد قريب بين بعض الأمم التي تعيش في البلقان .

ولكن إذا كان التسامح ضرورياً لنجاح النظام البرلماني فهو أكثر ضرورة لنجاح سائر مرافق الأمة . إذ لا أدب ولا تجارة ولا تعليم إلا بالتسامح . فالأدب لا يرقى بل لا يعيش إلا إذا أشرب القراء والكتاب روح التسامح . فإذا كان كل قارىء يقف مستعداً

لكي يضرب كل مؤلف لا يكتب وفق ما هو يهوى ويجب أن
يؤلب عليه الناس لكي يقطعوا رزقه ويحرموه العيش ، لكسر
كل كاتب قلبه وأقفرت الأمة من مصاييح الهدى التي تهديها. ولو كان
كل كاتب يقف من نفسه ، شاهد ملك ، ليدل الحكومة على ما أخذ
كل كاتب آخر ويطلب إليها معاقبته لما بقي في الأمة رجل واحد
يكتب . وكذلك لو أننا تشددنا في التجارة وسألنا كل من يعاملنا
عن دينه ورأيه لما تبادلنا التجارة مع أحد . ولقد أصيبت أوروبا
عند ختام الحرب بمثل هذه النزعة فرفضت الاتجار مع روسيا لأنها
شيوعية ثم تغلب عقلها على عواطفها وعادت فتساحت وتبادلت
وإياها المتاجر . واعتبر ذلك أيضا في التعليم . فهذه نظرية التطور
مثلا تدرس في مدارسنا الآن فلو أن روح التعصب كانت تشمل
برامجنا التعليمية لحرم أبناؤنا دراسة هذه النظرية العظيمة التي تعد
مفتاحا لجميع العلوم والآداب والأديان .

فتقدم العالم يقتضى التسامح وأساس التسامح مع ذلك هو معرفة
المتسامح بجهله كما أن أساس التعصب هو غرور المتعصب بمعرفته .
وليس في العالم حقيقة لا يمكن الشك فيها أو لا يمكن النظر إليها من
وجهتين مختلفتين حتى أن اينشتين يشك الآن في البديهيات ويكاد
يقول إن مجموع اثنين واثنين ليس على الدوام أربعة .

فاذا كان الشك يبلغ هذا الحد في البديهيات فكيف بالبحث في

التاريخ أو الاجتماع أو السياسة حين يكون الرأي الجديد مخالفاً
للصلحة الشخصية لبعض الطوائف أو مناقضا للعادة المألوفة
المحبوبة أو مصادما لملاذ الكسل التي يابى المتعم بها أن ينشط
لدرس جديد .

فهل لنا أن نطلب إلى الشيوخة المسنة أن تتمهل وتتسامح مع
نشاط الشباب وأن تعرف أن الأمة تحتاج على الدوام إلى النظر
إلى الأمام وإلى المستقبل كما تحتاج أحيانا إلى النظر إلى الخلف
وإلى الماضي ؟

لن يضير الأمة أن يؤلف شبابها كتابا يخالف رأى شيوخها
لأن هذا الكتاب ستناوله العقول بالنقد والتمحيص فيزول غمته
ويبقى ثمينه على مدى الزمن . فلنقتل الكتاب بحثا وخصا ولكن
يجب أن نترك المؤلف فلا نطلب أن نقطع رزقه لأن هذا الطلب
الأخير هو من الخطط التي اندثرت بزوال القرون الوسطى حين
كانت « محكمة التفتيش » تصدر من تهمه بالزندقة في إملاكة
وتستصفيا .

إننا لا نزال جهلة بحقائق هذا العالم وجهلنا هذا يمنعنا من البت
والجزم ولذلك يجب أن تتسامح فيما يقوله غيرنا لأننا لسنا من الثقة
بآرائنا بحيث نستطيع أن نقطع بسخافة آراء الغير أو ضررها .
ويجب أن نتذكر أن لكل جديد صدمة تشبه ما نلاقه النفس لأول

ما نسمع لنا جديداً . فقلنا نستطيع اللحن الجديد لأول سماعنا
إياه ولكن الاستطابة تعقب المعاودة . وكذلك الآراء الجديدة
تصد عنها النفس كما تصد عن الزى الجديد ثم تستحسنه بالمعاودة
والآلفة . والتقدم والرفق كلاهما مستحيل ما لم تقبل الجديد
وتساع فيه .



كيف وماذا نقرأ ؟

الناس وجلان أحدهما يحتال للانتفاع من وقته كأنه يجعل من الساعة ساعتين والآخر يحتال لاضاعة وقته بحيث يحيل الساعة إلى نصفها أو إلى العدم . وهناك وسائل عديدة عند هذا الفريق الأخير لقتل الوقت وتضييع الفرص وتقصير العمر حتى لتشعر من اتقانهم معرفة هذه الطرق أنهم يندمون على أنهم قد ولدوا إلى هذا العالم . ويمكنك أن تجيل النظر في القهوات وتدرس بعض الألعاب حتى تتأكد أنها تمارس هرباً من الحياة وسامة من الدنيا وندماً على الوجود .

لسنا بسبيل الكلام مع هؤلاء . وإنما نريد أن نتحدث إلى الفريق الأول الذي يحتال للانتفاع من وقته والذي لا يندم على وجوده في هذا العالم . فنضرب الانتفاع بالوقت واكتساب القوة باثارة الذهن بنجد القراءة في المكان الأول . وقد كانت القراءة من وسائل الرقي في الأزمنة الماضية ولكنها كانت من الوسائل الثمينة التي لا يناها إلا المبالغون في الجد وأبناء الأثرياء . أما الآن فهي ميسرة للجميع لا يتكلف طالبها سوى أقل المال أو لا يتكلف شيئاً مطلقاً .

وسياتى زمن ما يعيش فيه الانسان ليقرأ ولا يكاد يوجد عمل فى العالم يكده ويملا كل فراغه . بل يمنح كل وقته تقريبا لمثل القراءة والدرس .

ولكن كيف يجب أن تكون القراءة ؟ هل يجب أن نسير فيها ونسلك سبيلها على النحو الذى يسلكه لاعب الترد أو الشطرنج تزجية للوقت وفراراً من الحياة فنقرأ القصص تلو القصص وعشرات المقالات ، السياسية ، يرادف معناها فى الواحدة معانى الأخرى ؟ كلا . إنما يجب أن نقرأ لنتفح . فالمعرفة قوة والجهل عجز . فلنقرأ إذن لكي نعرف ونزداد علماً بالأشياء ، لكي نزداد بذلك إدراكاً للحياة وأحاسيسها . وليس فى مقدور كل منا أن يختبر جميع شئون هذه الدنيا اختباراً مباشراً إنما فى مقدورنا جميعاً أن نكتسب عليها عن سبيل الآخرين الذين اختبروها وأثبتوا اختبارهم بأقلامهم لمنفعتنا .

ومعنى هذا أنه يجب أن يكون لكل منا مكتبة فى منزله وأن يعد الكتب من ضروب الأثاث الضرورى للمنزل بل هى أكثر ضرورة من بعض الأثاث الذى ترتكم به بعض المنازل فى غير منفعة سوى الفخر الكاذب والآهة السخيفة . فالكتب هى أثاث الذهن يتقلب فيها ويرتاح إليها ويستفيد منها ويستنير بمعارفها .

فيجب إذن أن تعمل عقولنا فى انتقاء الكتب والمجلات

والصحف فلا نقتنى إلا ما ينفعنا ولا نقرأ إلا ما هو ضرورى لنا
عما يرفعنا فوق مستوانا ويزيدنا قوة. وخير أنواع التربية حين يرى
الإنسان نفسه فيقيس كفاياته ويقدر ما يحتاج إليه من الثقیف
لأنه عندئذ يحسن التقدير ويسير مع هواه فى انتقاء المواد. والهوى
من أعظم الوسائل فى تسهيل الصعب وتمهيد الوعر ومن الناس من
لايسعده الحظ بتربية مدرسية وافیه ولكنه يجد من وقته الوسيلة
لتربية نفسه بالكتب والمجلات إذا هو ثابر على القراءة وأحسن
الاختيار فى اقتناء الكتب. وليست المدرسة إلا البداية للتربية
الحقيقية فهى تغرس فى النفس (أو يجب أن تفعل ذلك) تلك
الزعة التى تجعل كلا منا طول حياته طالباً للعلم ساعياً وراء الثقافة.

ولن يكون ذلك إلا بالكتب وتقليبها والنظر فيها واعتباد
التنقيب والبحث. هذا إلى نزعة موفقة تحملنا على الجد والمنفعة
لالتسلية وإضاعة الوقت. ولسنا نقول أن قراءة الصحف السياسية
تخلو من الفائدة وإنما نقول إن الإدمان عليها مع تكرار معانيها
تضييع للوقت والمال معاً. إذ يجب أن نقرأ من التاريخ والشعر وسائر
فروع الأدب والعلم ما ننتفع به وتزكو به عقولنا ويعظم به احساسنا
للحياة، فقارىء التاريخ يضيف إلى عمره أعمار الأجيال الماضية
وقارىء كتب السياحات يضيف إلى وطنه أوطاناً أخرى والمتعمق
للعلوم يزداد بصيرة.

الفتاة الحديثة

عندنا في مصر طبقة من الكتاب إذا اعوزتهم مادة الكتابة عمدوا إلى موضوع المرأة فنموا عليها تبرجها وفسادها وانحطاطها . وقد ألف القراء منهم هذه النعمة فلم يعد يبالي بها واحد منهم وقلما يقرأ أحد هذه المقالات الكثيرة التي تملأ الصحف بها أعمدتها عن المرأة لأن موضوعها ومضمونها قد عرفا وسما معاً ومضمون هذه المقالات أن المرأة الحديثة أكثر تبرجا وأحط أخلاقاً من والدتها أو جدتها . وليس ينكر أحد إن في مصر وخاصة في القاهرة نساء متبرجات يسرن في ضوء النهار قبل الظهر وبعده بلباس السهرات مكشوفات أعلى الصدر وأعلى الظهر . ومنهن أيضاً من يضعن المساحيق على وجوههن ويصنعن الوشي المختلف والمضحك معاً للملابسهن . وكثيراً ما يكون الجهل داعية ظهورهن بهذه المظاهر . إذ هن لا يتعمدن هذا المظهر وإنما يجهلن المظهر اللائق ومقابلة المرأة القديمة بالمرأة الحديثة موضوع دائم الطلاوة يغرى الكتاب بالكتابة حتى في أوربا . فهناك ينعون على الفتاة الحديثة ترخصها في عادات كانت جدتها لا تجرؤ على اعتيادها مثل التدخين والمجاهرة بالرأى وتقصير الثياب وتضييقها وقص الشعر ونحو ذلك

ولكن لافتاة الحديثة من يدافع عنها ويقطع السنة السوء التي
تعبت بشهرتها . فقد رد أحدهم على ماتهم به وقابلها بالجدات
القديمات فوجد أن الفتاة الحديثة على الرغم من انطلاقها في الحرية
أكثر شعوراً بالمسئولية من جدتها وأكثر استعداداً لمواجهة الشدائد
وأكثر اعتماداً على نفسها وأعرف بوسائل العيش الشريف منها .
فقد كانت آداب الجدات محصورة في الصمت وتكلم الآداب أمام
الرجال والاقترار على أعمال البيت وكانت تلبس من الثياب الضافية
ما يكفي الواحد منها لأن يفصل منه ثلاثة أو أربعة بما تلبسه الفتاة
الحديثة . ومن يقف في لندن عند فوهات أو محطات الأنوية (أي
القطار الذي يجرى تحت الأرض) ويرى آلاف الفتيات اللواتي
يكدحن للعاش ومن مقصوبات الشعر متقلصات الملابس لا يسهه
إلا احترامهن وإكبار نفوسهن . ولو كانت جداتهن في مكانهن
لقنعن بالعودة في البيت والرضا بالدون من العيش ولكن هؤلاء
الفتيات أطمع في مسرات الحياة وأشجع على مشقاتها وأنزع إلى
«الرجولة» منهن وأذكي عقلاً وأخف بدأ وقدماً من أن يرضين بلزوم
البيت مع الفقر والمسكنة في حين يمكنهن الاكتساب بالعمل والجد
هذا في لندن . والحال ليست كذلك في القاهرة . ولكنها
ليست من الخطر بالمقدار الذي يوهنا به زعماء القديم من كل شيء .
فقد سلنا بأن في القاهرة طبقة من الفتيات تبرج عن جهل لاعن

قصد . والذي يدعونا إلى هذا الظن أن تبرجهن خلو من الذوق .
ولو كان عندنا رأى عام مهذب يدري بالأذواق والأزياء لكانت
لفتة واحدة من الرجال يزدرون بها هذه الأزياء تكفى لأن تمنع
الفتيات من التبرج منعاً باتاً . ولكننا نقول أن الفتاة الحديثة في مصر
لا تزال مع ذلك أصح نظراً للحياة من والدتها أو جدتها . فهي تمشى
الآن وحدها في الأسواق معتدلة القوام مرتفعة الرأس في حين كانت
جدتها تمشى متعثرة مع الخدم . وهي تقرأ بينما كانت أمها جاهلة .
وهي لا تبالي بالسمن في حين أمها كانت ترهق أمعاءها بأكل المسمنات
وهي ترى العالم بعينها ولا تضع على وجهها سوى نقاب خفيف
بينما كانت أمها تخفي عينيها عن العالم . فاذا قيل بعد ذلك أنها تداعب
الفتيان في الطريق فانه يجب على القارى أن يذكر أن المداعبة تحتاج
إلى إثنين فاذا لمنا الفتاة وجب أن نلوم الفتى . وهو باللوم أحق لأنه
هو البادى .

والناس يحبون مقابلة الحاضر بالماضى فيصغرون الأول ويكبرون
الثانى . فتراهم يصفون القدماء بأنهم كانوا أحفظ للذمم منا وكانوا
أعف في الحرمات منا وكانوا وكانوا . وكل هذا كذب لا أصل له .
فإن جدودنا مثلاً رضوا بحكم الممالك والانجليز فكانوا أجبن منا
ورضوا بكثير من حكاهم المستبدين حتى أشرفت البلاد على
الخراب . وقد زار أندلسى قبل نحو ٧٠٠ سنة بلادنا فذكر أن
الفحش والزنا في القاهرة لا حد لها وإن قذارة مدنتنا لا تطاق . فالقول
بأن المرأة القديمة تفضل المرأة الحديثة لغو لا يقول به إلا الجاهل

فلنكن عظماء

لن تكون عظيمًا حتى تعد نفسك عظيمًا وتمارس العظمة . ولن تكون شريفًا حتى تعد نفسك شريفًا وتمارس الشرف . فالعادة والممارسة كاتهما واجبة لكي تصنع الشرف أو العظمة أو ما يقابل هاتين الصفتين من الدناءة والحطة .

وأنت إذا توهمت نفسك عظيمًا ثم وقفت عند ذلك لما نلت من العظمة إلا الظل . ولكن إذا أنت توهمت العظمة ثم مارست بعض الأعمال العظيمة مهما كان مركزك فإنك لا بد بالغ نوعاً من العظمة في مستقبل أيامك .

فإذا كنت تتوهم العظمة في الثروة فلا قيمة لتوهمك ما لم تشرع في جمع بضعة قروش . وأول المليون واحد . وإذا كنت تتوهمها في العلم فاشرع في الحال في درس ما ترغب فيه . وإذا توهمتها في السياسة فلا تقنط من أن تكون وزيراً وأنت ترى زمناً الديموقراطي يرفع العصاميين إلى مراتب الوزارة فيما يشبه الحلم . بل لقد قال أحد وزرائنا أنه حلم بالوزارة قبل أن ينالها . وليس لحلمه معنى سوى أنه كان شديد الاشتياق للحصول عليها فزاول

بعض صعاها حتى ارتقى إليها . وإذا توهمتها في الصناعة فاشرع
في الحال في تجاربها الأولى .

فالتوهم مفيد لأنه يعد النفس ويوجه قواها إلى الغرض . ولكن
لا بد من المزاولة حتى يتجسم الوهم وينزل من رتبة الخيال إلى الحقيقة .
ويجب ألا نخشى نقائصنا أو ما نتوهم أنه نقائصنا . فلا الفقر ولا الجهل
ولا المرض ولا الآفة المعجزة نفسها تمنع العظيم من أن يحقق
عظمته لأن الطموح يسهل كل عقبة ويفتح كل باب مستغلق وبعد
ذلك تأتي المزاولة ومتى زاولنا شيئاً فنحن في طريق الخوض فيه
إلى النهاية .

لقد كان هاير رجلاً أعمى فاجاء العمى فجزع له لأول صدمة
ثم تنبه إلى أنه إنسان يجب ألا يرضى بالخضوع والاستسلام فأكب
على درس النحل وصار بعد ذلك ممن يوثق بهم في هذا الموضوع
الذي يستعصى على معظم المبصرين . وهذا الدكتور طه حسين
أصيب بالعمى وهو في الثانية من عمره فما عاقه هذا عن أن يكون
من أدباء مصر ومن أجرا الكتاب في طلب الإصلاح . وهو
لم يبلغ هذا المبلغ لقوة خارقة في ذكائه لأنه طامح إلى العلامك
على الأدب .

فلنكن عظاماً . ليكون لنا هدف عال نسدد إليه نشاطنا وقوانا
ونوجه إليه طموحنا ولنذكر على الدوام أنه ما من إنسان بلغ رتبة

كان طموحه دونها . فان من يقنع بالقليل يناله ويقف عنده ولكن
من يطمح لبلوغ الكثير يضمن القليل على أية حال والأرجح أنه
ينال الكثير أيضاً . ولتوهم العظمة في نفوسنا ولو دعانا هذا إلى
بعض الكبرياء لأن من يمارس الكبرياء لا يجد بدأ من النزوع إلى
العلا والتباعد عن الدنيا والنوعن السفاسف . ولا ينقصه عندئذ
إلا أن يزاول بعض ما يطمح اليه ويشرع في الخطوة الأولى وعندئذ
يجد نفسه أنه قد بدأ السير في الدرب الذي تنتهي إليه غاية طموحه .
فأنت أيها القارىء كما تتوهم في نفسك . فاذا توهمت العظمة
فأنت عظيم منذ تبدأ في تحقيق توهمك . والعظيم لا يجزع وقت
الهزيمة لأن نفسه طامحة مستبشرة بالنصر القريب فهو يستهين بألامه
ويستأنس بأحلامه حتى إذا سنحت الفرصة انطلقت قواه فحق
ما يريد . ولا يهولك أن يقال لك أنك تمنى نفسك وتستنم
للأحلام لأنه ما من إنسان بلغ رتبة عظيمة إلا وكان يحلم بها السنين
الطوال قبل أن يحققها .

مصلحتك هي مصلحة الجماعة

إنك تعمل ضد نفسك إذا عملت لنفسك فقط . لأن مصالحك متعلقة بمصالح الجماعة التي تعيش بينها بل بمصالح العالم كله وهذه حقيقة عرفها بعض الدول التي كانت تحارب ألمانيا فإنها ظنت أنها بالقضاء عليها تنفرد هي بسلطتها في العالم . ولكن خراب ألمانيا عاد بالخراب على أعدائها أيضاً لأن أمم العالم متضامنة لا تقدر إحداها على أن تبيع شيئاً ما لم تقدر الأخرى على أن تشتريه . فإذا عجزت الأخرى عن الشراء عجزت الأولى عن البيع . فالنية السيئة التي انطوى عليها بعض الدول لألمانيا عادت عليها هي نفسها بالضرر نفسه الذي عاد على ألمانيا بل ربما بأكثر منه .

وقد بدأ الانجليز يدركون مغزى آخر لهذه النظرية في أحوالهم الداخلية فقد رأوا من الرواج في الولايات المتحدة ما تعجبوا له ولم يفهموا سره إزاء الكساد الذي يرونه في بلادهم . وأخيراً عرفوا أن زيادة أجور العمال في أمريكا تزيد قدرتهم على الشراء فتروج الأعمال ويعم الرخاء أخذاً وعطاء . أما في إنجلترا فان كل محاولة لانقاص الأجور تنشر الكساد بين الناس لأن العمال وهم كثرة الأمة لا يستطيعون الشراء . فأصحاب المصانع الذين يريدون رواج

مصنوعاتهم لا يمكنهم أن يحققوا ذلك ما داموا يعملون في الوقت نفسه على إنقاص أجور عمالهم . فمصلحة الممول هي مصلحة الأجير ولا يمكن للممول أن يطلب السعادة لنفسه إذا كان يطلب الشقاء لأجيره لأنها متضامنان .

وأنت أيضاً أيها القارىء . لا يمكنك أن تخدم مصالحك ما لم تخدم مصالح الأمة التي تعيش فيها ولا يمكنك أن تسعد إذا كانت الجماعة التي تعيش حولك شقية . لأن شقاءها يعود عليك بالذات فأنت لكي تعيش عيشة صحية ولكي يسلم أطفالك من الأمراض يجب أن تنتشر الصحة والعافية بين الجماعة التي تعيش بينها وتنتفي الأمراض من بينها . لأنه لن يكون أولادك في أمن من المرض مادام أولاد جارك مرضى . فعنايتك بأولادك تقتضى العناية بأولاد جارك حتى لا تنتقل عدواهم إليك . ولن تستطيع أن تشرب ماءً نظيفاً خالياً من جراثيم المرض حتى تحتم وجوب نظافته لجميع سكان البلدة التي تعيش فيها وإن يكون ولدك آمناً في الطريق من اص يسرقه أو ترام يدهمه أو غبار يملأ عينيه أو منظر يفسد أخلاقه ما لم تسع لجميع الأولاد لكي يكون طريقهم آمناً أيضاً .

فأنت بوسطك لن ترتفع أكثر مما يرتفع معك ولن ينزل هو حتى يجررك وراه . فمصلحتنا الذاتية تقتضى أن ننظر إلى مصالح الآخرين لأن خيرهم خيرنا وشرهم شرنا .

أقد كنت من مدة أقرأ أأد كتب التاريخ لمسكويه . وهو
يروى فيه تاريخ بغداد والأخلاقه وقت التدهور والزوال حين كانت
الصوصية سلم الإمارة والأحكم . وقد روى تاريخ أأد الأمرام
وكيف أأدى سوء سياسته إلى خراب بلادده . فقال إن هذا الأمير
كان إذا جى الضرائب الفادحة وعجز الأهالى عن الدفع ارتهن
أملاكهم بما ينكسر عليهم من الضرائب فإذا غلق الرهن ولم يدفعوا
اشترى منهم هذه الأملاك بأبأس الأثمان بالرهن أو بقليل زيادة
عليه . وانتهت هذه الخطة العجيبة بأن أصبحت مملوكات الأهالى
كلها ملك هذا الأمير السافل . ولكن ماذا حصل لديه بعد ذلك ؟
بعد أن أصبح صاحب البلاد ملكا وملكا قل دخل الحكومة
ونقص عما كان وقت أن كانت المملوكات ملكا للأهالى وأخذت
العقارات تتدهور نحو الخراب فلا يتحرك الأهالى لترميمها لأنهم
لا يملكونها وفشا الكساد وعم الفقر جميع الناس .



الغاية من الحياة

ذكر الأديب المعروف كايك أنه عرف أحد أثرياء أمير كايقضى
وقته في السفر على القطار أو الباخرة وهو يملى على كاتبه خطابات
خاصة بأعماله . وإذا قعد في الأتومبيل عقد مجلسا للمفاوضة في شأن
خاص بعمله أيضاً . وإذا أكل أو تنزه أو تناول الشاي لم ينس
الكلام عن أعماله

ويخشى كايك أن تتأمرك أوروبا فتكبر من شأن النجاح المالى
وتجعل الغاية من الحياة إحراز الثروة فقط

وكلنا يجب أن يخشى ماخشيه كايك لأننا معرضون على الدوام
لفتنة المال تسارقنا شهرته فتعمى أعيننا عن القصد من الحياة
وتستغرق جهودنا كلها فترانا وقد بلغنا الشيخوخة ونحن نتساءل :
هل عشنا حياتنا وتمتعنا بها على هذه الأرض أم قضينا عليها عمرنا
فقط وقطعنا السنين الطويلة في جمع المال ؟

ولسنا بذلك نقلل من شأن المال . فان العالم لم يعرف وقتاً بلغ
فيه المال من القوة والقيمة مثلما بلغ في وقتنا هذا . فليس من الممكن
أن نعيش معيشة صحيحة أو أن نربي أولادنا أو أن نثقف أنفسنا أو أن
نضمن الهناء لوقت الشيخوخة ما لم نستند في ذلك كله إلى جدار قوى

من الذهب . فالمال قوة لا يحتقرها إلا رجل أبله

وإنما عبرة كلامنا أن المال ليس كل شيء . فيجب ألا يستغرق كل نشاطنا . وفي المال خاصة وهي إننا إذا بلغنا حداً معيناً لم نستطع أن نزيد مقدار تمتعنا به . فمن المعقول أن الغنى الذي يبلغ دخله ألف جنيه يمكنه أن يتمتع بالحياة أكثر كثيراً من ذلك الذي لا يحصل إلا على دخل مقداره مائة أو مائتا جنيه . ولكن صاحب الألفين لا يتمتع أكثر من صاحب الألف . وذلك لأن متع الإنسان نفسها محدودة فلنستطيع أن نأكل كثيراً أو نحب كثيراً لأن أموالنا كثيرة . وليس يسرنا أن ننام على سرير من الذهب أو أن نرى عشرين خادماً في البيت

إنما نحن زائرون لهذه الدنيا نقضى في فندقها الكبير نحو سبعين سنة فيجب أن نتمتع بما فيها مدة إقامتنا . ولسنا ننكر أن نظام هذا الفندق يحتم علينا تحصيل المال فيجب لذلك أن نحصله ونقضى به ثمن تمتعنا ولما كان يجب ألا نجعله غاية حياتنا

فالمال وسيلة وليس غاية . فيجب أن يكون لكل منا غاية في حياته غير جمع المال . وأشرف الغايات أن يرقى الإنسان نفسه ويعمل لرقى من حوله . وهو إذا جعل هذا العمل غايته من الدنيا وجد حياته حافلة بالمتع العظيمة التي تشغل ذهنه وتملأ وقته وتشيعه إلى القبر مسروراً بما أدى في هذا العالم . وإذا فكر الإنسان في الرقى

فانه يفكر بالطبع في عدة أشياء أخرى : في التعليم والصحة والدين والأدب والحضارة والبر والاكتشاف .

والاشتغال بهذه الأشياء أمتع للنفس من الاشتغال بجمع المال وبرهان ذلك ظاهر وهو أننا نرى أناساً يضحون براحتهم وأنفسهم ويموتون في سبيل الدين أو الاكتشاف العلى أو اختراع آلة . يفعلون ذلك كله ويقاسونه . وقد أخذتهم لذة الرقى فلا يبالون بما يقاسون ، ولم نسمع قط أن رجلاً ضحى بنفسه في سبيل جمع المال . إنما اللذة العليا والتمتع الحقيقي أن نرى أنفسنا كل يوم نرتقى ونجارى التطور في غاياته السامية فنتطور نحن أيضا ، ففي نفس كل منا شهوة عنيفة للتطور هي أصل الثورات الاجتماعية والاكتشافات والاختراعات وتلك ما يرفع الإنسان .

ميراث الأبناء

منذ مدة نقلنا عن أحد أغنياء الانجليز الذي حرم أولاده من الميراث وقال في وصيته : أنه ليس من تقاليد عائلته أن يثرى واحد فيها من غير جده وسعيه . وهو قد أدى واجبه ورباهم وعليهم بعد ذلك أن يسعوا .

وهذا شذوذ وغلو في تعليم الأبناء الاعتماد على النفس . ولكن التربية المتقنة والعوائد الحسنة التي يكتسبها الأبناء من الآباء ميراث كبير قد يفوق أحياناً جميع المزايا التي يمتاز بها من يكون ميراثهم الأموال الجزيلة . وهل يمكن انساناً أن ينكر قيمة التربية المدرسية مثلاً وما تستتبعه من مزايا لا يحصل عليها المحرومون منها ؟ أو هل ينكر أحد قيمة العوائد الحسنة التي يكتسبها الشاب من والديه كالمواظبة ، النظافة ، القناعة في الطعام والشراب وكره المسكرات أو التدخين أو بذاءة اللسان ؟

إن القدوة هي أكبر عامل في التربية وليس أحسن من أن يرى الابن القدوة الحسنة في أبويه فان سن الطفولة والصبا والشباب هو سن الانطباع والتكييف والتخلق فاذا وجد الابن في أبويه مثلاً صالحاً نشأ هو أيضاً صالحاً يكره بطبعه المفسد ويصد عن المغاوى ولكن هناك ما هو أهم من التربية وهو الاستعداد للتربية .

لأن الأبناء لا يستوون في الكفايات الطبيعية وان استروا في جميع
ظروف التربية .

فأ كبر ميراث يرثه الابن من الأبوين هو هذه الكفاية الطبيعية
التي يولد بها والتي يستعد بها لقبول التربية واكتساب التجارب .
وبعبارة أخرى نقول ان أكبر ميراث يرثه الابن هو صحة الجسم
وسلامة العقل .

وأنت أيها القارىء . لا بد أنك عرفت في حياتك كثيرين من
الوارثين ورثوا المال عن أبويهم ثم أضاعوه في سنوات قليلة .
ولا بد أنك تساءلت عن العلة في هذا السفه في الأبناء مع الحرص
الشديد في الآباء . وقد يكون هناك أكثر من علة واحدة ولكن
العلة الكبرى هي أن الابن لم يرث من أبويه كفاية طبيعية تضمن
له سلامة المال الذي ورثه أو استثماره والزيادة عليه .

ويرجع ذلك كله إلى عدم العناية بانتقاء الزوجة فان كثيرين في
بلادنا الشرقية لا يعرفون من الفتيات قبل الخطبة إلا القليل وذلك
لقلة الاختلاط والمعاشرة فإذا تم الزواج وجد الزوج أن شريكته
في الحياة ناقصة العلم بطيئة الإدراك على حدود الغفلة أو قد تعدو
الغفلة أحياناً إلى البله . وقد يكون الزوج في غاية الذكاء والحصافة .
ولكن الآباء ليسوا أبناء آبائهم فقط فان نصف ذكائهم يرجع إلى

أمهاتهم فإذا كانت الأم مغفلة أو بلهاء فأولادها يمتون بعرق إليها ولا تنفعهم مزايا الأب أمام نقائص الأم .

وهذا علة ما نراه من خيبة بعض الوارثين في الحياة وإضاعتهم أموال آبائهم . فإنهم ورثوا المال والعقار ولكنهم فقدوا أهم ما كان يجب أن يرثوه من كفاية طبيعية وحصافة أصلية في النفس .
والآن نقول إنه إذا كانت أم غاية اجتماعية للزواج هي النسل وجب أن يعنى كل من الزوجين بانتقاء الآخر من حيث سلامة الجسم والعقل أكثر من العناية بالمال أو الجمال أو غير ذلك من الاعتبارات . ولا يكون ذلك إلا إذا عاشر الخطيب خطيبته عدة أشهر قبل الزواج وعرف مقدار ذكائها واتجاه حديثها ونزعاتها التي تنطق بها حتى فلتات لسانها .

لقد قيل إن تربية الأولاد تبتدىء قبل ولادتهم وذلك بالعناية بالأم حتى يولد الولد صحيحاً مستكلاً مدة حملها . ولكننا يجب أن نزيد على ذلك ونقول انه يجب العناية بانتقاء الزوجة أيضاً حتى تكون سليمة الجسم ذكية العقل لكي يرث عنها لبنها هاتين الصفتين الثمينتين .

وإني لا أرى شاباً صغير الرأس دميم الخلقه طائش الحركة مخبول المشيئة إلا وأتعجب من ذينك الأبوين الخاطئين اللذين جلباه إلى إلى عالم مزحوم بالناس ثم أتعجب من حكومة أذنت لها بالزواج

المرأة أساس الحضارة

روت الصحف الانجليزية هذا الشهر حادثين غريبين لكل منهما مغزى يجب أن يفقهه القارىء المصرى ويطبعه في ذهنه طبعاً لا ينمحي . فالحدث الأول أن فتاة أميركية عبرت بحر المانش سباحة وهذا البحر أو المضيق يبلغ عرضه ٣٦ كيلو متراً وكان أبو الفتاة في زورق يشجع الفتاة على العبور ونجحت الفتاة وانتصرت على الأمواج وأخذت الصحف تنشر صورها معجبة بقوتها وجراتها وثباتها .

هذا حادث . وذكرت أيضاً حادثاً آخر خلاصته أنه يموت في كالكتا المدينة الشهيرة بالهند نحو ١٠٠٠٠ شخص بالتدريج كل عام وأن نسبة الوفيات بين الجنسين هي ست من النساء إلى واحد من الرجال . وبعبارة أخرى تقول هذه الصحف أنه يموت بالتدريج في تلك المدينة العظيمة في كل عام نحو ٨٥٠٠ امرأة و ١٥٠٠ رجل . وعزت الصحف هذه الزيادة العظيمة في وفيات النساء إلى العادة المتبعة في الهند من حجاب المرأة ومنعها من الحركة والسعى واضطرارها إلى الانزواء في عقر دارها بعيدة عن ضوء الشمس حيث تعيش في خمول ودعة لا تتحرك عضلاتها ولا ينشط دماغها .

ومثل هذه الحال داعية إلى تفشى مكروب التدريج في جسمها ومغزى هذين الحادثين هو مما يحزن له كل من يرغب في خير

الشرقيين لأن معناه أن الغرب يقول برياضة المرأة وأن الشرق يقول بنحوها . وأن نظرية الغرب هي نظرية الحياة والصحة والعافية والقوة وأن نظرية الشرق هي نظرية الموت بالتدريج والضعف والمرض

وعبرة ذلك كله لي ولك أيها القارىء أن نعرف أن المرأة هي أساس الحضارة الآن وأن الفرق بين إنجلترا السائدة والهند المسودة هو فرق بين المرأة الانجليزية التي تمارس الرياضة وتقوى، وبين المرأة الهندية التي تنزوي وتتحجب وتضعف . ولهذا الفرق صدق في جميع أحوال الأمة في خلق الرجال وتعليم الأطفال وفي نظام البيت ودستور الأمة وفي شيء آخر حتى في الآداب والفنون

ولم لا يكون كذلك؟ أليست المرأة هي الأم وهي التي تربي أطفالها فإذا كانت تكبر من شأن الصحة والقوة جعلتهم يكبرون من شأنها أيضا؟ أوليست هي ربة البيت بها ينتظم وبها تنضبط أحواله من مال واقتصاد؟ فإذا كان البيت مهد الحضارة لأنه المدرسة الأولى التي يتربى فيها المرء وهو أيضاً المملكة الصغيرة التي يتعلم فيها الصبي ضبط النفس وأدب المعاشرة وعادات النظافة والمواظبة والمثابرة فإن المرأة التي هي محور البيت هي أساس هذه الحضارة . وإذا اختلف الأساس كما هو في ذلك المثال الذي ذكرناه عن الهند

اختل البناء وإذا صح شادت الأمة بناءها شامخاً مشمخراً كما هو في
بريطانيا أو أميركا .

ويؤيد رأينا الأبحاث الحديثة في النفسولوجية التي تثبت أن أعمق
الآثار في نفوسنا هي تلك التي تلقاها في طفولتنا وصبانا بالمنزل .
وبمعنى آخر هي تلك الآثار التي تنطبع في أذهاننا بالقدوة والحديث
من أمهاتنا . وليس شيء يتعلمه في المدارس أو تتلقاه من العالم بعد
خروجنا من المدارس له من الأثر ما للأُم في النفس ، وليس
وسط يؤثر فينا أن شراً وأن خيراً ما يؤثره المنزل في طباغتنا
وعاداتنا . وما المنزل سوى المرأة .

فالأمم التشيطة الجريئة العاملة الدائبة في العمل ترجع صفاتها
الحسنة هذه إلى ما عندها من أمهات هن هذه الصفات . والأمم
الخاملة الناكسة المريضة ترجع صفاتها السيئة هذه إلى أمهاتها أيضاً .
وبعد فأيتهما أفضل وأحق بالحياة ؟ أتلك الفتاة التي تسبح ٣٦
كيلو متراً بين الأمواج المتلاطمة أم تلك التي تنزوى وتتحجب
وتخمل حتى تمرض بالسل ؟

سوط الاحتقار

يعمل الاحتقار في الناس أكثر مما يعمله الخوف . ومعنى هذا بكلام آخر أن الناس يحسبون للرأى العام ويستحيون من الناس أكثر مما يخافون من القوانين . بل نحن نخاف القوانين لا لأننا نتألم من السجن بل لأننا نخشى احتقار الناس لنا إذا عرفوا أننا قد سجننا .

فإصلاح الأمة يرجع في الأكثر إلى قوة الرأى العام أكثر مما يرجع إلى القوانين . لأن الرأى العام سوطاً شديداً لوقع غائر الأثر هو سوط الاحتقار به نستطيع أن تؤدب الناس ونعلمهم ونوجه نشاطهم إلى وجهات نافعة .

ولكن إذا اختلف الرأى العام وساءت أحكامه صارت القوانين كلها في حكم العدم أو ما يقارب ذلك . فشرائع بلادنا مثلاً تعاقب المتجرين بالحشيش ولكن الحشيش سيبقى والحشاشون سينعمون بهذا السم ماشاؤوا لأن الرأى العام لا يحتقرهم . فلو أن حشاشاً وجد رجلاً يبصق في وجهه مرة أو يطلب إليه ألا يعرفه أو منعه من دخول منزله لما تجاسر في القطر المصرى كله حشاش واحد على اقتناء هذا السم الذى يزود مارستاناتنا بنصف مرضاها .

ولو أن ضابط الشرطة الذى يعتدى على الناخبين يرى من

الناس عين الاحتقار والاشمئزاز من هذه السفالة لما استطاع مهما
كانت المكافأة المالية التي ينتظرها أن يرتكب هذا الجرم ، لأنه إنما
يقصد من الترقى في المناصب ومن الحصول على المال تلك الوجاهة
التي يتوخاها بل أهل بلاده فاذا وجد منهم مقاطعة واشمئزازاً
واحتقاراً لما تجرأ على ضرب ناخب

وقل مثل ذلك في الجرائم التي ترتكب في الريف وتنفى الأسن
منه فان المرتكبين الحقيقيين هم سكان الريف أنفسهم لأنهم لا يحتقرون
هؤلاء المجرمين بل يروون حكايات سطوهم وانتهابهم بالإعجاب
كأنهم أبطال حتى أن المجرم ليسجن وهو مرفوع الرأس كأنه بطل.
وقد كانت الرشوة إلى عهد قريب يتساح فيها الجمهور ولا يعدها
جريمة فكانت لذلك كثيرة الشيوخ لأن مرتكبها كان يعتقد أنه
لن يفقد كرامته أمام بنى وطنه إذا تلبس وثبتت عليه . وهو إلى
حد ما لا يزال كذلك وفي هذا افساد كبير للإدارة . ولن تصلح هذه
الإدارة حتى يسلط الجمهور سوط احتقاره على جميع من ينهبون
الحكومة بأية صورة .

ولقد كتبت الصحف كثيراً عن ضرورة اقبال الشباب على
الأعمال الحرة . ولكننا نعتقد أن أكبر ما يمنع إقبال الشباب عليها
هو احتقار الجمهور لها . فلو أن الشاب وجد ان كرامته إذا كان
صاحب قهوة أو حانة أو مطعم محفوظة مصونة في عين الجمهور كما

تصان إذا توظف في الحكومة لما أحجم عن مثل هذه الأعمال
الحرّة ولكن أكبر ما يجعله يحجم عنها هو احتقار الرأى العام لها
فإننا مازلنا نجري على طبائع الاستبداد القديمة في إكبار كل ما يتصل
بالحكومة واحتقار ما عداها وقد نزل الينا هذا الاعتقاد من السلف
الذى كان يرى في الحكومة سلطاناً أى سلطان للأستبداد بالأفراد
والنهب والتسخير . وسنعيش مدة طويلة وشبابنا عالة على الحكومة
حتى يتربى الجمهور ويعرف للعمل الحر قيمته ويحترم القهوجى
الشريف كما يحترم نلأمور السافل الذى يضرب الناخبين لكي يترقى
ويكرم صانع الأحذية كما يكرم المحامى الذى يشكو الآن من قلة
الأعمال ويطلب منع دخول محامين جدد فى مهنته ،

إن للجمهور سوطاً قوياً هو سوط الاحتقار الذى يستطيع
أن يسلطه على الخامل والسكير والمجرم والزانى والمرتشى والمتزلف
فيصلح بذلك أخلاق الأمة بما لا تستطيع الشرائع المكتوبة أن
تصلحها لأن حياة الناس أكبر من خوفهم فهم إذا رأوا عين الاحتقار
انزوا أو تصاغروا وساروا على النهج القويم .

الشيخ الشاب

يعيش في أيامنا هذه شيخ يبلغ الثمانين في عدد السنين ولكنه في الجراءة والنشاط وفي حرارة القلب وهمة النفس شاب جدير بأن يكون طرازاً للشباب .

هذا الشيخ الشاب هو كليمنصو وزير فرنسا ومن رجالات الدول العظام فإنه بعد أن عقد اكليل الغار على رأس وطنه وأتم الصلح مع ألمانيا ونال من الشرف والمجد أكبر ما يطمح اليه فرنسي قصد إلى بيته في الريف لا ليقضى فيه أيامه الأخيرة أيام الشيخوخة الورعة إلى جانب المدفأة والمسبحة بل ليجدد فيه حياة الجهد والتفكير والتأمل بعد حياة الجهد بالعمل السياسي .

فكليمنصو لا يشيخ بل يتطور في خدمة بلاده . فقد ناداه صوت الوطن مدة الحرب فلبى نداءه وصرف مجهوده إلى خدمة الحرب وها هو ذا يناديه للوطن أيضاً بل يناديه العالم إلى الخدمة المفروضة على كل حي فهو الآن يخدمه بذكائه . أما الشيخوخة فلا يذكرها ولا يتعلل بها للراحة بل هو لا يؤمن بأنه شيخ فإن ثقته بنفسه وقوة رجولته تلهمانه نشاط الشباب . ونذكر عنه حكاية بهذا الصدد مؤداها أن الدكتور فورنوف عرض عليه أن يجرى له عملية استرداد الشباب التي تعمل للشيوخ فأجاب على الفور :
لست شيخاً .

ثم هو وهو هذه السن يعمد إلى كتب الأغر يق وينفض عنها
غبار ألفي سنة لكي يدرس حياة الخطيب ديموستينيس يستخرج منها
موعظة نافعة لبلاده وللعالم .

وهو الآن يكتب مقالات متتابعة في إحدى الصحف الفرنسية
يضمنها آراءه التي اختمرت بالتجارب العديدة التي مرت به في حياته
وماذا يقول فيها ؟

يقول هذا الشيخ الذي بلغ الثمانين ما يجب أن يفقهه كل شاب
من الثقة بالنفس والكبرياء والرغبة في الارتفاع والتجدد . يقول
مثلا : : يجب أن نلقى مرسائنا ونستقر على صخرة المعرفة ،
وأيضاً : كل يوم يمر بي هو برهان لي على اني أجدد نفسي بنشاط .
عقلي ولست أعرف شيئاً كثيراً ولكنني أتقبل ما أعرفه بكبرياء
كما أتقبل نتيجة معرفتي

فهاك إذا رجلا لا يحمل المسبحة خائفا مذعوراً وهو في سن
الثمانين بل يعتمد على نفسه ويدرس العالم ويرضى بنتائج درسه
ويسكن اليها .

ثم هو ينصح للشباب . لك أيها القارىء . بقوله : : لكي لا تحصل
على دون ما ترمى اليه يجب أن تسمو إلى أكثر مما تستطيع ، .

وليست حياة كليمنصو خلواً من النقائص وقد تكون وطنيته
الحادة أكبر نقائصه . ولكن في ما نقلناه من أقواله ما يصور للقارىء .

تلك الشخصية القوية التي تبدو من حياته وأعماله وثبتت إخلاصه
لنفسه ولوطنه ومحاولته في أن يعيش إنساناً مستقلاً ينفع العالم
وينتفع به . وحسبه شرفاً قضية دريفوس التي واجه فيها الرأي العام
وناضل فيها العصبية الفرنسية لمصلحة الحق . فقد كان دريفوس ضابطاً
يهودياً بالجيش اتهم بالجاسوسية وسجن من أجلها وكان كليمنصو
يجاري الرأي العام في بداية التحقيق ثم تبين له أن الرجل مظلوم
وأن التهم مزورة عليه . وكان في ذلك الوقت يحرر صحيفة الأورو
فانقلب يدافع عنه بكل قواه وينشر في صحيفته خطاباً زوالمشهور
بعنوانه « اتهم » وكان كليمنصو هو صاحب هذا العنوان المثير

فما أجد هذه الحياة التي يعيشها الإنسان في الدفاع عن الحق ومكافحة
التعصب ثم الدفاع عن الوطن وخلال هذه الأعمال لا يكف عن
اكتساب المعارف التي يسكن إليها راضياً بنتائجها . له من كبريائه
الانشائي ما يجعله يستقر إلى ما يبيده إليه عقله دون ما يسأم من الأساطير
القديمة ويعيش طول حياته نشيطاً مجاهداً يلعب الألعاب الرياضية
في شيخوخته كأنه شاب ويقاطع الخمر والتبغ لأنه يراها دون
رجولته وسيطرته على نفسه

إن مثل هذا الشيخ يجب أن يكون قدوة للشباب والشيوخ .
يجب أن نعيش طول حياتنا في جهاد ضد الرذائل وفي اكتساب
للمعارف والعادات الحسنة وفي خدمة لا تنقطع للوطن والعالم وكل
ذلك في كبرياء يجعلنا نعرف كرامتنا ونؤثر الموت الشريف على الحياة
الدينية .

الاستقلال الروحي

يروى التاريخ عن أحد أئمة الدين انه عاش طول عمره مؤمناً تقياً يخلص في عبادة ربه ، ثم دب في قلبه الشك فلم تطق نفسه وقفة المتردد المرتاب فكان يدعو الله قائلاً : اللهم ألهمني إيمان العجائز . وإيمان العجائز هو كما يعرف القارىء . إيمان التسليم والتصديق بل قل هو إيمان الخوف والضعف لأنه إذا لم تكن العجوز خرفة تصدق كل ما يقال لها فلا أقل من أن تكون وجلة تقترب من ساعة الموت وفي قلبها وجيب الخوف فهي لا تجادل ولا تعارض .

وما يدعو إلى الاغتياب أننا قد عدونا هذا الطور . فليس منا من يجب أن يلهمه الله إيمان العجائز لأنه يرى هذا دون كرامته الإنسانية وهو يجد في مواجهة الحقائق مع ما فيها من ألم الشك سروراً لا يجده ولا يجب أن يجده في التسليم بإيمان العجائز .

وليس معنى هذا أننا أقل إيماناً من السلف الصالح وإن كنا أكثر شكاً منهم فيما اعتقدوه صواباً . وإيماننا نحن نختلف عنهم من حيث أننا أكثر رجولة منهم في مواجهة الدنيا كما هي والسكون إلى حقائقها والاعتماد في كل ذلك على عقولنا لا على ما تؤمر به ويشار به علينا . كان أسلافنا يؤمرون بالإيمان بأحد الأديان أو العقائد فيطيعون فكانوا يسأمون العقيدة سلطة خارجية . ولكننا نحن نحاول أن نؤمن

بسلطة داخلية بما توجه اليها ضمائرنا . تؤمن عفو القلب والعقل
ونحن أحرار لا نخشى عقابا ولا نبالي بحساب سوى حساب الضمير .
ونحن فيها تتعناه ونكابد من هذا الإيمان الداخلي وآلام التردد
والحيرة أشرف وأشجع من سلفنا الصالح الذي كان ينشد
« إيمان العجائز » .

ففي العالم الآن طائفة من الناس قد أخلصت اليه لهذا العالم الذي
هو وطننا الأكبر وعزفت موقفا فيه وما عليها من تبعات نحوه .
ولكنها مع إخلاصها للعالم تخلص أيضا لنفسها وهي ترى من
الإخلاص لنفسها أن تنشد الله بما فيها من قلب وعقل وتتحسس
وجوده في هذا الكون بما تهديها اليه بصائر نفوسها

ولعل أظهر واحد من هذه الطائفة وأكثرهم جهادا هو المستر
ولز الانجليزى فلست أعرف رجلا آخر قد تلمظ بنار الحيرة ثم
اهتدى إلى ربه وسكن اليه ، مضى عليه أكثر من عشرين سنة وهو
يحاول أن يستخلص من لباب نفسه إيمانا يقفه من الكون على علاقة
ترضى ضميره وعقله ولست أظن أن كثيرين من الذين يقرأون
المجلدات الأربعة التي وضعها في هذا الموضوع يهتدون بهديه أو
يقنعون بدينه ولكني أعتقد أن هذا الرجل يبدى من الشرف
والشجاعة والإخلاص ما هو جدير بكل إنسان يحترم نفسه ويحب أن
يرى الأديان تنبع من القلوب خالصة نقية ولا نصب فيها مشوبة
بما أوقرها التاريخ القديم من العقائد المختلفة .

ولسنا نقول أن ولز يفرد بهذه النزعة فإن هناك كما قلنا طائفة كبيرة وهي وإن كان أفرادها دونه ظهوراً إلا أنهم ليسوا دونه في الاخلاص والذكا . وهم جميعهم يكرهون أن يؤمنوا الإيمان العجائز بل يحاولون أن يحققوا للانسان استقلاله الروحي . ولكن كما أن حديث العهد بالإستقلال في السياسة يتخبط في مبدأ استقلاله فكذلك حديث العهد باستقلال الروح لا بد له من فترة تقضى في التردد والتخبط والظلام ثم ينبجلى كل هذا عن نظام ونور ويقين .

وهذه الطائفة تحاول أن تؤمن وكثيراً ما تؤمن وإن كانت في نظر أكثر الناس معدودة من الكفار ، وهي كافرة بالفعل بتلك العقائد التي ورثها العالم عن قدماء المصريين والاشوريين والفرس ولكن إخلاصها لنفسها وللعالم يدعوها إلى النظر في الكون نظراً صريحاً وإلى محاولة حل هذا اللغز حلا تسكن اليه .

فنحن إذا نشدنا الاستقلال الروحي فإنما ننشده للغريزة الدينية التي في نفوسنا . وليس في ذلك تنطع أو استهزاء بالأراء وإنما هي الإنسانية قد بلغت سن الرشد وتأبى أن يقام عليها وصى من الخارج لأنها تحس أن هذا الوصى قائم في داخل نفوسنا وهي ترى من المرجوة أن تتحسس وجوده وتحاول الاهتداء اليه .

لا جديد تحت الشمس

يكتب هذا العنوان لكي ننفيه ونقول أن كل شيء جديد تحت الشمس . وأولئك الذين يدعون دعوى الدوام وأن الجديد كالقديم إنما يقولون ذلك وتفوسهم تردد صدى القول القائل بأنه ليس في الامكان أبدع مما كان وإن العالم لا يتطور . ولكن الواقع أن العالم يتطور ويتجدد، وهو اليوم غير ما كان في الأمس وسيكون في الغد غير ما هو اليوم . وهذا التغير لا يلحق النبات والحيوان وحدهما بل يلحق الجماد نفسه . فإن تاريخ الأرض يثبت تحولها . فقد مضى زمن كانت فيه أميركا جزءاً لاحقاً متصلاً بأفريقيا وأوربا . ومضى زمن كانت فيه أوربا مغمورة معظم أقطارها بالثلج وكانت مصر في وقت مالا ينقطع عنها المطر صيفاً وشتاء . ومضى زمن كان فيه جبل المقطم قعراً للبحر تسبح فوقه الأسماك وينساب عليه المحار . ويقول العلماء الآن أن المادة دائمة التحول لانتهاد ذراتها عن الحركة . فالجماد نفسه يتجدد تحت الشمس تنطق بذلك طبقات الأرض الجيولوجية كما ينطق أيضاً فحص المادة في المختبرات العلمية

والنبات أيضاً يتحول ويتجدد . فمعظم النبات الذي وقعت عليه عين الشمس قبل عشرة ملايين سنة ليس له وجود على أرضنا الآن لأن نباتاتنا جديدة . وبرهان ذلك أنه عند ما وجد القيل المنقرض

الذى يسمى الماموث فى سيبيريا واستخرج من تحت الثلج فحست
الاعشاب التى فى معدته فلم يعرف منها واحد يعيش الآن . ثم هذا
الفحم الحجرى الذى يستخرج من المناجم كان قبلا نباتا لا وجود له
الآن . ونحن هنا فى مصر وزارة زراعة من مهماتها أن تجدد ،
سلالات القطن أى توجد أصنافا لم تكن موجودة قبلا تحت الشمس .
أما تجديد الحيوان فمختصر ما يقال فيه أن نظرية التطور قائمة
عليه وهى تستمد شواهدا من الحيوانات التى انقرضت والحيوانات
التي جددت . وليس فى العالم متحف للتاريخ الطبيعى إلا وفيه عشرات
من الحيوان المنقرض .

فالتحول هو الناموس الأصيل للكون كله فليس فيه شىء باق
أو دائم وإنما كل شىء يتحول تحت الشمس ويتجدد من لحظة
لأخرى . حتى أنت أيها القارىء . منذ ابتداءك لقراءة هذا المقال
إلى أن تنتهى منه ستتحول وتتطور لأنك على الأقل ستكون أكبر
منا بجملة دقائق . وإذا اختلف اثنان فى السن اختلفت آراؤهما
وقوتهما ومزاجهما وإن تكن ذلك بقدر يسير لا يلاحظ بالحواس
ولكنه يستتج بالعقل . فكل شىء إذن جديد تحت الشمس
وكل شىء يتطور حتى الجماد . أجل حتى جبل المقطم والصحراء
والنيل . ولكن هذه الأشياء تختلف فى سرعة تطورها . فالحيوان
يسبق النبات والنبات يسبق الجماد والانسان يسبقها كلها ، ثم بعد
ذلك نقول إن الأمم الغربية تسبق الأمم الشرقية فى التطور . فانت

تسمع مثلاً عن تعدد الأزياء وتجدها كل يوم في باريس ولندن وغيرهما وتقرأ ما يقال من الفكاهات عن ذلك وتحسب هذا التقلب السريع في الأزياء ضرباً من نزق النساء . وقد يكون كذلك ولكنه أيضاً دليل على أن شهوة التطور أشد هناك مما عند الشرقيين . وهذه الشهوة نفسها هي التي تثمر المخترعات والمكتشفات كل يوم . والشرق بجموده لا يخترع ولا يكتشف والغرب بتطوره يسير قدماً نحو الأمام ويجر الشرق الجامد ورائه بعد أن يمتنه ويستخدمه . فالواجب الذي يحتمه علينا ناموس الطبيعة الأكبر هو أن نتجدد وتتطور ولا نجمد . يجب أن نجدد أذهاننا بالعلوم والنظريات الجديدة كما يجب أن نجدد نفوسنا بما نطبعه عليها من أذواق جديدة نكتسبها بدرس الفنون الجديدة . ويجب أن ننظر إلى المستقبل ونفكر في الرقي المطرد والتطور المستمر ولا نقنع بالنظر إلى السلف والجدود فإن النمط الذي ساروا عليه في حياتهم قد بلى وانقرض ونحن في حاجة إلى أنماط جديدة تلائم وجهة النظر الحديث . فإنا القارىء نتجدد في الثقافة والحضارة جميعاً وننصت إلى صوت ضميرنا الذي يدفعنا إلى الأمام ويحثنا على الاستقلال وننفض عن أنفسنا غبار التقاليد التي تقيدنا وتؤذينا وتسد علينا منافس الحياة وتقتلنا .

هذه الدنيا

منذ سنوات مات شاب انجليزي وهو دون الخامسة والثلاثين وكان قبل موته بنحو خمس سنوات يعرف أنه قد حكم عليه أن يشرب كأس الموت المرة حوالى هذه السن . فقد كان مريضا مقضيا عليه بالموت فكان يروح ويغدو وهو عارف بأن الساعة الرهيبة تقترب . وقد خلف هذا الشاب كتابين أو ثلاثة ضمنها إحساسه بالوجود ورأيه فيه وتنكر أمام قرائه باسم باريون .

والقارىء هذه الكتب يشعر لأول صدمة أن الرجل شقى بل فى غاية الشقاء . فإن عقله كان أحيانا يهدى بالموت فكان يخرج إلى الحقول يتزهه فيخطر برأسه خاطر الموت كالسكين القاطعة يلتوى تحته فيكاد يصرخ ويكاد يعدو ناجيا بنفسه ولكن لانجاة من عدو غير منظور . ثم كان يكشف عن جسمه فيرى بشرته الحمراء والدم يجرى دافئا فى العروق فتسود الدنيا فى وجهه عندما يذكر أن هذا الدم القاتل سيستحيل قريبا سائلا أصفر منتنا يختلط بتراب القبر وتسبح فيه ديدانه .

أقول أنه يخيل للقارىء أن هذا الشاب كان شقيا لهذه الخواطر ولكنى بعد التأمل أقول أن هذا الخبيث كان فى غاية السعادة . فإنه

عند ما عرف آخرته وتعين له على وجه التقريب زمنها طفق ينظر إلى العالم كأنه مكان غريب يرشك أن يخرج منه فيجب عليه لذلك أن يرى كل ما يمكن أن يراه فيه ويتمتع بجميع ما فيه من متع ومسرات . فعاش ملء حياته في تجارب وملذات وخرج من الدنيا وقد شع منها بأكثر منها ابن الثمانين أو التسعين . أو قل أنه عاش بسرعة عبثة الغزال بينما غيره يعيش ببطء السلحفاة ويوم واحد من حياة الغزال خير من ألف عام من حياة السلحفاة .

ويخطر ببالى أننا نكون أسعد حالاً لو أننا عرفنا يوم انقضاء أجلنا كما عرفه باريون لأننا عندئذ نفعل فعله فنكف عن كل مالا فائدة فيه ونعمد إلى رؤية هذا العالم والتمتع بمشاهدته وتجاربه ولا يحسبن القارىء أننا نغمس عندئذ في الم لذات البهيمية لأن الانسان بهيم بطبيعته وإذا كان البهيم من الأشخاص المضمره في نفسه فإن الفيلسوف شخص آخر مضمر في نفسه .

ودليلنا على ذلك أن باريون لم ينقلب بهيما يشره إلى الطعام أو النساء أو الخمر بل انقلب فيلسوفاً يخرج في الفجر لكي ينظر إلى بزوغ الشمس وتوهج الشرق بأضوائها الملتهبة . وأخذ يعد الأيام بينه وبين الموت فصار يدرس كل شيء تقع عليه عينه في هذه الدنيا فكان يقرأ القصص الروسيه ويشرح البراغيث . وكان يقرأ نيتشه حتى يشعر انه كلب عضوض ثم يعرج بعد ذلك على الموسيقى الألمانية

فيستكنه سحر الانعام وطرب الايقاع. وكان يصعد مع ما هو فيه من امراض عاتية مضية إلى قم الجبال وكأنه يريد أن يواجه الكون لوجهها لوجه ثم يعود فيكتب مقالا عن الرغبة في الخلود، تتوهج الفاظه بالتفاؤل والمجازفة والرغبة العنيفة في التجارب والتمتع بالدنيا .

إقرأ مثلا هذه القطعة منه : يقول تين أننا في الآداب يجب أن نحب كل شيء . وأنا أقول : أجل . وفي الحياة أيضا يجب أن نحب كل شيء . إن جميع الأشياء في هذه الدنيا تجذبني فلا أستطيع أن أحصر قواي بل أراني مستعداً لأن أعمل كل شيء وأذهب إلى كل مكان وأفكر في كل شيء . وأقرأ أي شيء . . . وإنما يقطع الانسان نفسه من بعض الوجوه إذا هو اقتصر على صناعة بعينها أو طريقة للحياة أو مذهب أو فلسفة أو رأي أو تعلق . فاني أنا أكتب للجميع

ولكن يجب أن أمنع نفسي هنا عن فتنة النقل المغرية واقنع بالعظة والعبرة : فان حياة باريون على قصرها اهلاً بالتجارب والمتع من حياة أي واحد منا . فانا نعيش أكثر أيامنا عيشة نباتية كأننا أشجار مزروعة لا نتقل إلا فيما بين بيتنا ومحل عملنا ولا ندرس

من المعارف إلا ما نحصل به عيشنا فنموت ونحن نجهل عجائب هذا العالم . وليس في هذا العالم شيء تافه إذا سلط عليه الذهن بالدرس وليس فيه حجر أو حيوان أو نبات إلا وهو صندوق عجائب لا ينتهي الانسان من لذة المعرفة له . ثم هذه الدنيا بمثابة الطبيعة بجبالها وأنهارها وحقولها وبما فيها من تحف وطرائف صنعها الانسان كلها جديرة بالدرس الذي هو أرقى أنواع التمتع .

الحياة الطفيلية

منذ أيام كنت أقرأ كتابا عن الاغريق القدماء وأثرهم في ثقافة العالم . والاغريق هم ، كما يعرف القارىء ، أصل الأدب الحديث وواضعوه من مبادئه . ولكنهم مع تقدمهم في الأدب ليس لهم أى فضل فى العلوم . وخاصة تلك العلوم العملية التجريبية التى تعزى اليها حضارتنا الحديثة . وليس ينكر انه قد نبغ فيهم اقليدس ولكنه كان صاحب نظريات . وكذلك ليس ينكر أن ارسطوطاليس شرع طريقة عملية للعلوم وأن ارخميدس اخترع الطنبور الذى يستعمل الآن للرى فى حقولنا . ولكن المهم الذى يلفت النظر أن الاغريق لم يستأنفوا السير على الطريق الذى اختطه لهم ارسطوطاليس وأن أرخميدس كان ينجل من تدوين مخترعاته لأنه كان يعتدها من التفاهة والخوان بحيث لا تستحق العناية بتدوينها . فماتت تلك الحركة العلمية الصغيرة بل وثلت فى مهدها . ونام العالم فى الظلام نحو ١٥٠٠ سنة إلى أن نهض نهضة علمية جديدة ثابتة الأساس مطردة التقدم . فاذا كانت علة ذلك ؟ .

كانت علة ذلك أن الاغريق كانوا يعيشون عيشة حلية أى كالحلم الذى يمتص دم الحيوان الذى يعلق بجملده . فكانوا يستخدمون

العبيد ويمتحنونهم في أعمالهم المنزلية والزراعية والصناعية وكانوا لذلك يحتقرون جميع الأعمال التي يعملها العبيد ولا يرضون البتة بأن يدرسوا الصناعة أو أعمال البيت أو شئون الفلاحة . وبديهي أن العلوم لا تنشأ إلا إذا كانت تتناول هذه الأشياء بالاختراع وهذا يتضح إذا القينا نظرة واحدة على المخترعات التي تخترع في زماننا فإنها كلها تتناول الزراعة أو الصناعة .

فالاغريق حرّموا أنفسهم العلم لأنهم كانوا يعيشون في دعة عيالا على عبيدهم يحنون ثمرات جهدهم ويحتقرون مع ذلك أعمالهم ويتعبرون من التلبس بها أو الاهتمام بشئونها . وقوام العلم الاختراع وما دام الانسان لا يحترم عملا ما فهو لا يفكر فيه ولا يتهم لتخفيف مشاقه باختراع آلة أو اكتشاف طريقة بها تقل ساعات العمل أو تزيد مكافآته .

وعلى ذلك يمكنك أن تقول أن الرق لم يكن مؤذيا للعبيد وخدم بل كان أيضا أذى عظيما وبلاء كبيرا للاغريق أنفسهم لأنه حرّمهم تسليط عقولهم على حضارتهم والعمل لتقدمها بالاختراع والاكتشاف العليين .

وما أحرانا نحن أن نعتبر بهذه العبرة البالغة . فالوارث الذي يتمتع بأموال أبويه وهو وادع هانيء لا يعمل ولا يكد إنما يعطل قواه ويعوق كفاياته عن النمو فيركد ذهنه ويعيش في العالم عيشة

حاملة وهو قانع بما يقنع به الخالم من طعام وشراب لأن العقل لا ينمو ولا يزكو إلا إذا اعتملت التجارب ونقحت الاختبارات وهذا لا يكون بالركود والدعة وإنما يكون بالجهد والعمل والتفكير والتهمم للرقى والنجاح .

ويخطر ببالى وأنا أسطر هذه الكلمات ذلك الخبر الذى ذكرته الصحف من أن جامعة ريدنج فى انجلترا قد أنشأت شهادة عليا للبانة أى صناعة الجبن وما اليه من مستخرجات اللبن . فان الانجليز لا يحتقرون الصناعات ولذلك يسلطون عليها عقولهم بالدرس والاختراع فترقى الصناعة بهم ويرقون هم بها . ولو أن أفندياً من شبابنا اقترح عليه أن يصنع الجبن لآنف واستكبر . وهو إنما يفعل ذلك لماثل السبب الذى كان يحدو الاغريق إلى احتقار الصناعة . فقد احتقرنا نحن الفلاح واضطررناه إلى عيشة زرية فى أكواخ بالية ووضعنا كرامته فى أعيننا فصار فى مركز العبد وصرنا لذلك نحتقر أعماله وكل ما يلابسه فعاد فينا احتقارنا كالسهم الاسترالى يطلقه صاحبه فيرتد اليه . وبتنا وإذا بشبابنا يترامى على وظائف الحكومة ولا يستطيع أن يقف على قدميه مستقلاً ويواجه عالم التجارة والصناعة والزراعة بكفايته ومهارته .

أجل أننا نعيش الآن كالحلم على الفلاح . وجميع أنواع الحلم سواء فى أنها تفقد جزءاً كبيراً من كفاياتها . فالديدان التى تعيش

في بطوننا تفقد أحياناً قناتها الهضمية لوفرة الغذاء حول جلدنا .
وبين النمل أفراد تعيش بخدمة غيرها لها فتعجز عن الحركة وتبقى
مدى حياتها في مكانها لا تريم لأنها تجد من النمل ما يعنى بها
ويغذوها ويمسحها .

إننا لا نخترع ولا نكتشف لأننا لا نتلبس بالحياة العملية حياة
الصناعة . والعلم لا يتقدم إلا إذا كانت غايته عملية . وقد بدأ يكون
النهضة العلمية الحديثة بحض الناس على درس الأشياء العادية ،
ولكن هذه الأشياء العادية البسيطة أصبحت في يد عمال لانحترمهم
وإن كنا نعيش بعرق جبينهم فنحن لذلك تتعير من أن نكون دباغين
أو حدادين أو خبازين مع أنه لا مجال للاختراع والاكتشاف إلا
في مثل هذه الصناعات . وأيضاً لا مجال للعمل الاستقلالى إلا
في ميدانها .

العلم والأدب

ليس شك في أن عصرنا الحاضر هو عصر العلوم وأن العصور القديمة هي عصور الآداب . وليس ذلك إلا اطراداً مع رقى الذهن البشرى لأن العقل العلى أرقى من العقل الأدبى وذلك لأن عقل الآداب هو عقل الخواطر السائبة الطارئة ، وإن كان قد صبغ في عصرنا بقليل من الصبغة العلمية . بينما نجد أن العقل العلى يتقيد ولا ينساب ويجيل الفكرة عن عمد لا تطراً عليه طروء الخواطر الهائلة .

ولكن هناك سبباً آخر (غير الرقى الذهنى) لا تسام العصور الحديثة بسمة العلوم . وهذا السبب ينحصر في أن الأمم القديمة كانت ارسقراطية ينتظم فيها نظام الأرقاء والموالى يسودهم ويستغلهم الأسياد والأشراف . بينما ماتنا الحاضر زمن ديمقراطى خلوا من الرق والولاية . فكان العبيد والموالى قديماً يقومون بالأعمال اليدوية بالمزراعة والصناعة بل حتى بالتجارة لمصالح أسيادهم . وكانت هذه الصناعات كلها محتقرة لأنها قد اختص بها العبيد دون الأسياد . والعلوم إنما تنمو وتزكو بين الصناعة ولكن لما كانت العقول المسلطة عليها قديماً هي عقول العبيد فقط ، ولما كان هؤلاء العبيد أيضاً خلوا من الترية والمال

فانهم لذلك لم يخترعوا ولم يكتشفوا ولم ترتق بهم الصناعة أو العلم .
وكذلك رأى الأسياد والأشراف أنه لا يليق بهم أن يتلبسوا
بالصناعة للعار الذي يلحق بها إذ قد اختص بها عبيدهم ومواليهم .
ومن هنا نفهم نهى الغزالي للناس عن أن يكونوا حلاقين أو دباغين .

فالعصور القديمة كانت عصور الآداب لأن الخاصة المتعلمة
كانت تأنف من ملابسة العبيد في صناعاتهم وتقتصر على درس
الآداب . ولكن لما قاطعت الخاصة الصناعات قاطعت العلم أيضا إذ
أن ميدانه هو ميدان الصناعة لأن رقى العلوم لا يمكن أن يكون
شيئا آخر سوى رقى الصناعة ، إلا إذا استثنينا الفلك .

وقد سارت نهضة العلوم الحديثة سيراً مرافقاً لإلغاء الرق
وتحرير الصناعة بل تطهيرها مما علق بها من عار الرق السابق ، وشرع
بيكون عندئذ يناشد الكتاب والمؤلفين أن يدرسوا « الأشياء
العادية ، ويتركوا المسائل الضخمة من البحث في ماهية الخالق وما
وراء الكون ونحو ذلك . وهذه الأشياء التي درسها يكون هي أساس
الرقى الصناعي أو الرقى العلي الحاضر .

والعبرة لنا بما قدمناه شيئاً :

١ - أن نهضتنا في مصر أدبية وليست علمية ، وهي تخالف
في ذلك أوروبا .

٢ - أن علة ذلك أن الفلاح والعامل عندنا محتقران .

فإننا قد وضعنا العامل الصناعي والعامل الزراعي في مركز العبد من حيث قلة الأجر وهو ان العيش بحيث صرنا نتغير من أن نعمل عملهما . والعلوم لا تتقدم إلا بدرس الأشياء العادية أي بدرس خمائر الجبن أو الخبز أو الكحول أو بدرس أرواث البهائم أو زيوت الوقود أو الأصباغ أو نحو ذلك . وهذه أشياء يتلبس بها العامل الذي نحتره فلذلك نحن نحترها ولا نحب أن نمسها . وعاد علينا هذا الاحتقار كالسيف القاطع حتى قطعنا من البحث العلمي وانصرف شبابنا إلى الأدب وصاروا الآن يعنون بقراءة قصيدة أكثر من عنايتهم بوصف طائرة مع أن صناعة الطائرات أشرف من قرص الشعر وهي برهان على رقي الذهن العلمي وتفوقه على الذهن الأدبي ، فإن الهمج يقرضون الشعر ولجميع الأمم في جاهلياتها القديمة أشعار وقصائد بارعة ولكن العلم هو ثمرة الذهن الحديث الذي غذى بأوفر مادة من الثقافة والحضارة .

ثم إن احتقارنا للصناعات قد سد علينا طريق الأعمال الحرة التي هي أساس القوة والثروة عند الأمم الراقية . فيجب علينا إذن أن نعود إلى نهضتنا الحاضرة فنصبغها صبغة علمية وإلى عمالنا فنرفعهم إلى مستوى يحفظ كرامتهم الانسانية وكرامة الصناعات التي يزاولونها ثم بعد ذلك لانتحاج إلى أن نحث الشبان على طرق أبواب الأعمال الحرة . ويجب أن نغرس في أذهاننا أن وطن العلوم هو المصانع وأن

الامة المصرية تنتفع وترتفع إلى أعلى درجات المجد إذا أقبل شبابها على الصناعة . وأن العلوم ترتقى لأنها تجد البيئة الموافقة لها في الصناعة التي تغرى العالم بالعلم للمكافآت العظيمة التي تقدمها له . ونحن ما زلنا في طور الزراعة من حيث العمل وطور الأدب من حيث التفكير . وكلا الطورين لا يتفقان والعصر الحاضر . فالزراعة التي نمارسها قد باتت من احتكار الهمج في أفريقيا وآسيا وأمريكا . والهمج لقلّة أجورهم سيطر دوننا من أسواق العالم . وقد عرف القارىء مما ذكرناه آنفاً أن الأمم جميعها كانت في جاهليتها أى في همجيتها تعرف الأدب . ولكنها لم تعرف العلم أو الصناعة اللذين هما التوأمان لرقى العصر الحاضر .

أنخر الأثاث

منذ مدة نشر أستاذ انجليزى كتابا عن مقياس الكفاية فى العائلات فقال إن أفضل ما تقاس به العائلة هو مقدار الأثاث فى منزلها ونوعه . فإن الانسان إذا وقف أمام صورة معلقة على الحائط استطاع أن يحكم على صاحبها ويعرف منها درجة ذوقه وثقافته . فهناك من يعلقون صورة بطة من بطلات السينما توغراف وهناك أيضا من يعلقون صورة لفينوس ربة الجمال عند الإغريق وفرق عظيم بين هاتين العائلتين . ثم هناك أيضا عائلات لا تعلق على جدران منازلها أية صورة كأن الفنون التى مضى على الانسان نحو عشرة آلاف سنة وهو يحاول أن ينقل إليها هواجس نفسه وعواطفه وعقله لم تخلق لها أو كأن هذه العائلات تعيش فى بدائة خاصة بها مقصورة عليها فى وسط الحضارة العظيمة التى نعيش الآن بين ظهرانها وتقلب فى نعمتها . وقد يكون هذا الأستاذ مصيباً أو مخطئاً ولكن الواقع أننا نحكم على درجة الناس ومركزهم الاجتماعى بأثاث بيوتهم . فلا نبالى بالرجل كم يملك من الأرض أو العقارات إذا لم نجد بيته مؤثلاً منجداً على الطراز الذى ندرك منه حضارة أهل البيت وثقافتهم . ولكن أثاث المنزل يتفاوت وأنخره وأدعاه إلى تقدير أصحابه هو المكتبة .

فالمكتبة هي أنخر ما في البيت من أثاث . فإن المقعد الجميل والمنضدة الملبسة بالصدف والصورة الفخمة والسجاد الفاخر الذى حاكته الأيدي الفارسية والستائر السرية والثريات المتلاثة كلها تدل على الذوق العالى والتبصر الحكيم لأصحاب المنزل ولكن أنخرها كلها وآنسها للضيف أو لرب البيت هو المكتبة . فإن المكتبة أثاث حتى يؤنسك ويستجيب لك ويلبى شهواتك العليا فأنت تنظر إلى قطعة الأثاث الجميلة فتغذو عينك بجمالها ويلذ لك رؤيتها ولكن الكتاب ليس جميلا فقط بل هو يتسرب إلى ذهنك فيجعل ما تملكه من هذا الكون ملكوتا عظيما ويبسط نفوذك إلى أوسع مدى يستطيعه هذا الذهن ويكبر شخصيتك حتى تملأ هذا الفضاء كله وحتى ليس به مكان يخرج عن استعارك واحتلالك . فأنت بكتب التاريخ مثلا لا تقصر عمرك على سبعين أو ثمانين عاما تعيشها على هذه الأرض بل تذهب بخيالك إلى ملايين السنين الماضية وآلاف السنين القادمة فتشعر عندئذ بكبرياء وعظمة أنت جدير بهما لأنك تاج التطور ولأن جميع الأحياء على هذه الأرض دونك فى هذه الذاكرة التى جعلها الكتاب تمتد بنا إلى ملايين السنين الماضية . ثم انظر فى كتب السياحة أو العلوم أو الآداب أو الأديان تجد نفسك تشرئب وتتطلع إلى حقائق هذا الكون وذهنك يلتصق بالخواطر والأفكار التى تهبط على هذه الحقائق وتمسها أو تكاد . فترى عندئذ انك تستعمل

ذهنك في أشرف ما يمكن انساناً أن يستعمل فيه ذهنه وهو التسلط على هذا العالم بكشف حقايقه .

والمكاتب والكتب إنما هي محاريب الثقافة الإنسانية . وليس شك الآن في أيامنا هذه وخاصة عند الأمم الأوربية في أن الجامعة الحقيقية التي يمكن جميع الناس أن يتخرجوا منها علماء راسخين إنما هي الكتب كما قال كارليل .

وقد أصبح لهذا السبب من أكبر ضروب البر والعناية بالخدمة العامة أن تصدق الأغنياء بالكتب والمكاتب المجانية .

ولكن هذه المكاتب العامة لاتغني عن المكاتب الخاصة . ففي كل بيت يجب أن تخصص أجمل غرفة لكي تكون محراباً للسكان يغشونها في أوقات فتورهم ونشاطهم ويجدون فيها من الكتب الفاخرة هوا وفائدة وأغراء يحول دون غوايات هذا العصر . فأن المغرم بالكتب يراها هوايته يقتنيها للقراءة أو للاستشارة وينفق على تجليدها وتزيينها ما ينفقه غيره في البطالة المفسدة على القهوةات أو في الإكباب على الشراب أو نحو ذلك من الغوايات الكبرى .

وما يذكر عن المستر رمزي مكدونالد رئيس الوزارة الانجليزية السابقة أنه وهو ينتقل من منزله إلى منزل آخر وضع الخمالون أكداس الكتب التي يتألف منها جزء من مكتبته في وسط إحدى

الغرف فتحطم السقف تحتها لو فرتها وثقلها . وهذا خبر يروى عنه
كأنه إحدى مفاخره .

وحبذا المفخرة يفخر بها الشاب أمام إخوانه إذا دعوه إلى
القهوة فاعتذر بلزومه منزله لأن مكتبته أنخر أثاثاً من القهوة وآنس
منها للنفس وأوفر طهواً وفائدة . وحبذا المفخرة أيضاً لربة البيت
تفخر بها أمام ضيوفها وتبرهن لهم على ثقافة السكان وعلو منزلتهم .
ونحن أبناء القرن العشرين قد تحضرنا وثقفنا وارتقينا على آباءنا
وجددنا فلم نعد نقنع من المنزل بسجاده وكراسيه وموائده فإن لنا
كبرياء تدفعنا إلى أن نحترم أكرم ما في أجسامنا وهو الذهن بأن
نغذوه بأجمل الكتب في أنخر المكاتب .

الروح الانجليزية تتطور

اجتمع منذ أسبوعين مؤتمر مؤلف من كهنة الكنيسة وقرر فيها قرر تنقيح كتاب الصلاة الانجليزية . فأنقص منه وزاد ونقح فيه بالتبديل والتعديل . فمن ذلك مثلا أنه استبدل الحب بالطاعة التي كان يفرضها الكتاب السابق على الزوجة لزوجها . ومنذ أكثر من ١٥ سنة التأم مؤتمر آخر مؤلف من كهنة الكنيسة الانجليزية أيضا وقرر قبول نظرية داروين .

ولسنا بسبيل الفحص لهذه التنقيحات فإننا لسنا أهلا لها . وإنما لنا العبرة لأننا نعيش في هذا الشرق الذي يكره التبديل والتنقيح ويطلب منا أن نعيش كما كان يعيش آباؤنا منذ ألف عام وأن نتكلم لغتهم بلا تبديل أو تعديل . وأن نعتقد عقائدهم :

فهؤلاء الانجليز الذين يملكون نحو ربع الدنيا والذين هم بلا نزاع من أرقى الدول يكرهون الجمود حتى في دينهم . فالصلاة تتطور معهم لأن روحهم تأتي الجمود كما ياباها ذهنهم . فاللغة الانجليزية التي يكتبها المؤلفون الانجليز الآن تختلف اختلافا عظيما عن اللغة التي يكتبها شكسبير قبل ٣٠٠ سنة . ونزعة الآداب الانجليزية الآن تختلف عما كانت في أيام ولتر سكوت قبل مائة سنة . والانجليزي

في معيشته الآن يختلف عما كان قبل مائة سنة . وأقل ما في هذا الاختلاف أنه يعيش الآن بالصناعة وكان قبلا يعيش بالزراعة .

فالإنجليزي قد تطور في لغته وآدابه ومعيشته وها هو ذا يريد الآن أن يتطور في صلاته وفي علاقته بربه . وهذا يدل على أنه يفهم الحياة أكثر منا وإنه يفتن لأهم نوااميس الحياة وهو التحول والتطور .

وما أحرانا نحن بأن نفقه هذه العبرة فهؤلاء الإنجليز متقدمون راقون يسودون العالم ويغلبون كل من يعارضهم في تنازع البقاء لأنهم لا يجمدون ولا يلزمون حالة واحدة .

ولسنا نظن أنه يمكن أحد الشرقيين أن يقترح تنقيح صلاته كما يفعل الآن الإنجليزي وهو لو فعل لعد كافراً وبات بذلك طريداً أهله ومملته . ولكن هذا لا يمنعنا من أن نشهد التطور في النواحي الأخرى لحياتنا الاجتماعية والاقتصادية . فنحن الآن مثلاً على أبواب نهضة كبيرة تتقلب فيها معاش الناس من الزراعة إلى الصناعة ومن الأدب إلى العلم كما انقلبت في تاريخ الإنسان الماضي قبل سبعة آلاف سنة من البداوة إلى الحضارة . فإذا لم تتمش مع هذه النهضة وإذا لم يقبل شبابنا على الصناعة ويضع من الآن أسسها الوضيعة سبقنا العالم فلا نستطيع عندئذ اللحاق به . ثم هذه الزراعة التي نمارسها الآن في حقولنا قد عرفها الهمج في العالم وصار الغربيون

يمارسونها في الأراضى البكر على مساحات واسعة يزرع الواحد منهم نحو خمسين أوستين فدانا . ولا قبل لنا نحن بأن نزاحم هؤلاء . بزراعتنا، وعلى ذلك يجب أن نعرف أن زراعتنا مقضى عليها إذا لم نجعلها فنية قائمة على الفواكه والخضراوات وصناعية قائمة على الغزل والنسيج والتجيبين .

فزراعتنا يجب أن تتطور حتى تكون صناعية . ثم هذا الأدب الذى يمارسه شبابنا هو أدب بال قائم على الألفاظ والزخارف فيجب أن يتطور حتى يصير أدبا علمياً غايته البحث عن معايير جديدة للحياة والسعادة .

ثم معيشتنا يجب أن تتناولها بالتقنيع والتبديل حتى ترافق بيوتنا شروط الصحة والجمال، وحتى لا نحتاج إلى أن نهجرها إلى القهوات والحانات ، لكى ننسى حياتنا فيها بعض النسيان . وأيضاً يجب أن نتذكر المرأة التى هى الأم والمربية والعشيرة فنرفعها إلى مستوى المرأة الأوربية حتى تكون بذلك إنسانا نأتمس به فى بيوتنا . وحتى تكون حكيمة مدبرة يمكنها تربية أولادها والاشراف على مصالحهم إذا مات زوجها .

وإذا كان الانجليز لا يتهيبون من التقنيع فى الصلاة التى يتقدم بها الانسان لربه فانتنا يجب ألا نتهب من التقنيع والتبديل فى معيشتنا فعمل لتحرير المرأة وتعليمها الحرف التى يمكنها أن تعيش منها .

ونعمل لحث الشباب على درس العلوم وممارسة الصناعات ، ونعمل
أيضا لحث جميع الناس على اصطناع المخترعات الجديدة فنركب
الطائرات بدل الحمير، التي كان يركبها أسلافنا . قبل عشرة آلاف سنة
ونخترع ونكتشف ونتقدم للعالم بمحستنا من المجهود في ترقيته .
لأننا نعيش الآن ونحن عيال عليه ، في الاختراع والاكتشاف .
وليس ذلك إلا لأننا نلزم السنن القديمة والطرق العتيقة .

تنقيح الصلوات الانجليزية

ليس شىء أكرم عند المؤمن من صلاته ، ولا شىء يدعو به إلى الوقار أكثر من وقفة المتعبد الخاشع أمام ربه . فإذا كان في العالم شىء جدير بالمحافظة والجمود فهو ألفاظ الصلاة وعبارات الدين . لأن هذه الألفاظ والعبارات من الحرمة والقداسة ما يجعل المؤمن يحرص على أن تبقى كما هي محتفظة برسمها العتيق كما تحذر من ميثاق السنين الماضية . ولذلك نرانا مضطرين إلى أن نعود إلى الموضوع وهو هذه الصلاة الإنجليزية التي عمد إليها الأساقفة فنقحوها وغيروا وبدلوا في ألفاظها وعباراتها حتى تتفق وروح العصر الحاضر . وذلك لأن لهذا التنقيح مغزى جديراً بالتفهم والدرس وخاصة عندنا نحن المصريين .

فنحن أمة قديمة ابتدعنا الحضارة لأول ما ابتدعت في تاريخ هذه الكرة الأرضية، فكنا المعلمين وسائر الأمم التلاميذ. ولكننا جمدنا وخشينا البدع ولزمتنا سنن الآباء ، ولم نتطور فسبق التلاميذ معلمهم وبتنا وقد تخلفنا وتقدم غيرنا . وأقرب برهان على جمودنا أننا في العام الماضي أحدثنا زوبعة هائلة في فنجان بشأن طائفة من الشباب أرادوا أن يستبدلوا القبعة بالطربوش ، ثم عدنا فلأنا العالم صياحاً بشأن طلبة دار العلوم حين أرادوا اتخاذ اللباس الغربي ،

وفي هذا الشهر أذاع وزير المعارف منشوراً يحتم فيه لبس العمامة والقفطان على معلمي المدارس الأولية . فتأمل معي أيها القارىء وقابل مصر بانجلترا . فهناك يتجرأون على تبديل الصلاة ، وهنا لا نجرؤ نحن على تبديل اللباس ، وحين يتسوف شبابنا إلى التمثل بالغربيين ويطمحون إلى المساواة بهم نكبت فيهم هذا التشوف وهذا الطموح ونضطرهم إلى لزوم اللباس الذى كان يلبسه أجدادنا وأجداد أجدادنا .

هناك فى انجلترا يقول برناردشو إن الأمة الحية يجب أن تنفخ دياتها مرة على الأقل كل عام ، ويعمد الأساقفة إلى كتاب الصلاة المقدس الذى تضعه العجوز الهرمة تحت وسادتها فى الليل وتقرأه فى الصباح فينقحونه ويبدلون فى معانيه وألفاظه ونحن نصيح ونولول إذا غيرنا اللباس . وليس هذا فقط . بل فى العام الماضى أطلق فى مصر على اليهود والنصارى صفة الكفار ، وكانت الحججة فى إطلاق هذه الصفة أنها قديمة يعرف بها النصارى واليهود من أكثر من ألف عام .

فلهؤلاء الذين يبالغون فى احترام القديم نقول : انظروا إلى الأساقفة الإنجليز واحفظوا عنهم دروسا فى المدنية . فإن هؤلاء الأساقفة وجدوا أن صلاة التعميد تذكر غضب الله وانتقامه فحوا ذلك واستبدلوا بهما ذكر الحب والرحمة ووضعوا البركات فى مكان اللعنات . ووجدوا أن صلاة العرس تقتضى الطاعة من الزوجة

لزوجها فمحوها ووضعوا في مكانها الحب والتعاون .

ومنذ نحو ٣٠ سنة حين اعتلى ادوارد السابع عرش أجداده ورأى في صلاة التسويج الانجليزية ما يجرح عواطف الياها والطوائف الكاثوليكية عمد إلى الأساقفة فطلب منهم تنقيح هذه الصلاة حتى توافق روح العصر وتعمل للوثام وتضع الحب والرحمة مكان البغض والانتقام . وقد استجاب الأساقفة لهذا الطلب الشريف .

ويستفاد مما تقدم أن الأمم الراقية تتطور ولا تبالي باصطناع البدع حتى في صلاتها وهي أقدم ما عندها تحول فيها وتبدل لكي توافق العصر الحاضر . فيجب أن نعتبر نحن بذلك ونرضى بالبدع في الصلاة والزراعة واللباس والمسكن حتى تتفق معيشتنا في القرن العشرين مع أهل القرن العشرين . ويجب أن نذكر أنه لو كان كل إنسان يلزم مسلك أبيه لما خرج الانسان من العابة ولما عرف حضارة أو زراعة فإن الرقى يقتضى ابتداء البدع الجديدة والإيمان بأن الخلف خير من السلف وإن الإبن يبذ أباه في الأخلاق الفاضلة والعلم الصحيح والثقافة الواسعة . وإذا كان لجدودنا إحن قديمة فليس من واجبنا أن نذكرها ونخلدها وإنما الواجب أن ننساها ونعيش مع الناس . أجل ، مع جميع العالم بالحب والوثام كما هو مفهوم من التنقيحات التي وضعها الأساقفة الإنجليز للصلاة لأنه بهذا وحده يحبنا العالم وندخل في زمرة الأمم المتمدية نعمل لرقى العالم كله كما يعمل العالم لرقينا بالمخترعات والمكتشفات التي نستعملها وليس لنا فيها فضل الاختراع أو الاكتشاف .

مارى

فى سنة ١٩٨٣ ماتت فتاة روسية تدعى مارى بشكيرتسيف وهى فى الرابعة والعشرين من عمرها بعد أن أكل التدرن رقتها وبرزت أضالعا كالقفص الفارغ .

والتدرن من الآلام البطيئة مما يبعث السأم فى النفس ويصدها عن ضروب التمتع ويحجب إليها الموت ولكن مارى كانت بعكس ذلك تحب الحياة وتشتهى البقاء . وقد تركت فى مذكراتها اليومية صورة قوية لهذا الجوع الذى كان يحشها على أن تلتهم العالم التهاماً وهذا العطش الذى كان يدفعها إلى أن تتذوق حلو الحياة ومرها . وهى فى اشتهاها للبقاء لم تكن تخضع لشهوات الدنيا بل كانت تسمو وتتشوف إلى أرفع ما فى هذا العالم من مطاعم وأغراض .

كتبت مرة فى مذكراتها تقول : ويبدو لى أنه ليس هناك أحد يستطيع أن يحب كل شىء كما أحبه - يحب الفنون الجميلة والموسيقى والرسم والكتب والاختلاط بالناس واللباس والترف أو التفزز والهدوء والضحك والدموع والحب والحزن والزهو والثلج والشمس ... إنى أحبها كلها وأعجب بها كلها . . . وأحب أن أرى هذه الأشياء بل أمتلكها وأعانقها واندج فيها ثم أموت فى طرب هذه اللذة (لأنى لا بد أن أموت بعد سنتين أو بعد ثلاثين سنة)

حتى أعرف سر هذا الختام بل سر هذه البداية ، .
وكتبت مرة أخرى تقول : « إني أحسد العلماء حتى أولئك
المهزولين الذين يكسو وجوههم الشحوب والقبح ، .
وتصبح مرة أخرى في مذكراتها حين تقول : « ما الزواج
وولادة الأولاد؟ أليست الغسالات أنفسهن يقدرن على ذلك؟ »
وهذه القطعة الأخيرة تدل على أن ماري قد احتقرت أشياء
لم تكن دون ماتحب من حيث لذة الاختبار وبلوغ السعادة وربما
كان احتقارها هذا علة كبرى للآسى العظيم الذى كان يملكها ويملا
أحيانا فؤادها غضبا وحنقا .

وقد كان يقال أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا
المرضى . وكذلك يمكننا أن نقول من مثال ماري هذه ومن
مثال باريون الذى سبق ذكره أن الدنيا جميلة لا يرى جمالها
إلا من أوشك أن يغادرها . ففي كلتا الحالتين نرى أن باريون
وماري يتعلقان أشد التعلق بالحياة يريدان أن يستوعبا كل ما فيها
من لذة أو متعة كما يريدان أن يختبرا خيرها وشرها ويقفا على كل
ما يمكن علمه من علومها وآدابها وفنونها . وما ذلك إلا لأنهما عرفا
أن المرض يوشك أن يقطع بينهما وبين هذه الدنيا فانكبا عليها
وانغمسا فى درسها وفهمها .

وما أحرانا ونحن بعد فى صحتنا أن نعرف لهذه الدنيا قيمتها
فنقبل عليها ونتمتع بها فندرس علومها ونسبح فى أرجائها ونستكنه

أسرارها قبل أن يحملنا هذا التيار الجارف الذي يحمل جميع الأحياء إلى محيط الأبدية . وإنما يكون إقبالنا عليها ونحن بعد في شبابنا قبل أن تستولى الشيخوخة علينا وقبل أن تتكون لنا عادات تمنعنا من هذا الدرس والتمتع . ولكن يجب ألا ننسى أن التمتع ضروري : عالية وسافلة . فمن الناس من يتمتعون بالنهم للطعام أو النوم بعد الظهر أو نحو ذلك من الملذات التي كان باريون وماري يترفعان عنها ويجدان أن الحياة أقصر من أن تنفق ساعاتها في مثل هذه الملذات الخسيسة . فإن النوم يضعنا في صف النبات من حيث الوعي بهذا العالم ويغيب أذهاننا التي هي أقوى أدوات تمتعنا فيجب لذلك أن نأخذ منه بأقل مقدار يكفي لصحتنا . أما النهم فأليق بالحيوان منه للإنسان . وخلاصة القول أننا مادما نعيش في العالم فإننا يجب أن نتمتع به وأن نتأنق في تمتعنا حتى لا نخرج منه إلا وقد شبعنا مما فيه من اللذات السامية ووقفنا على ما يمكننا من أسرارها . وبعبارة أخرى يجب أن نحيا على الأرض لكي نعيش ونختبر ونتعلم لالتقضي عليها حياتنا في سبات الغفلة كأننا نوع من الأشجار .

وكذلك يجب أن نحذر تلك الحياة الضئيلة التي يقصر المجهود فيها على تحصيل العيش والمبالغة في الإثراء حتى يصبح صاحبها كأنه فرس العربية بينه وبين العالم عمامة تغم على عينيه فلا يرى إلا ما أمامه . فإنما الحياة الوفيرة تلك الحياة التي يقول بها السيد المسيح تقتضي أن تتمتع بالنواحي العديدة التي تعرض لنا من هذه الدنيا . وهذه الناحية لا تنحصر في تحصيل العيش .

هل اخترعت مصر الحضارة؟

كما يؤسف له أكبر الأسف أن الجامعة المصرية لم تستطع إغراء الأستاذ اليوت سمث للقدوم إلى مصر والتدريس بالجامعة . فقد بخلت عليه حكومتنا بخمسمائة جنيه مع أن مثل هذا الرجل لا يضمن عليه بمال وخاصة بالنسبة إلينا نحن المصريين . فإننا أمة تحتاج إلى الدعاية في أوروبا لتحسين سمعتنا عند الأوربيين ورفع مقامنا في عيونهم وليس في العالم رجل رفع من شأننا وجعل لنا المقام الأول في التاريخ مثل اليوت سمث .

كان اليوت سمث قبل عشرين سنة أستاذاً في مدرسة الطب بقصر العيني وكان يدرس الجاهم المصرية القديمة ويقابلها بالجاهم الحديثة في مصر وأوروبا وآسيا ، وكان التشریح درسه الأصلي ولكن هواه كان في المصر لوجية ينقب عن الآثار ويبحث عن جماجم أسلافنا ويقيس رموس الفراعنة ويستقرى أدوات مصر القديمة وآلاتها . وفي أحد الأيام حوالى سنة ١٩٢٠ التمع بذهنه خاطر غريب . وهو أن المصريين أول من عرفوا الزراعة والحضارة في عالم وأن الآثار الحجرية التي توجد الآن بانجلترا أو بالهند أو بأمريكا هي من آثارها بالذات أو بالثقافة المنقولة إليها عن مصر .

وهذا الخاطر الغريب قد صار علماً يتباحثه العلماء في جميع
أقطار الأرض المتمدية وصارت له كتب ضخمة ومختصرة قرأت أنا
وحدى منها إلى الآن ثلاثة كتب وسأوالى القراءة في هذا الموضوع
إلى يوم أموت . وذلك لا لأنى أجد فى الكتب علماً صحيحاً وكشفاً
عظيماً لتاريخ الإنسان فقط بل لأنى أشعر فيه من الارتياح بل
الزهو ما يجعلنى أنبسط لقراءة هذه الكتب الجديدة وأهش لهذه
النظريات الرفيعة .

وكيف لا أزهى ، بل كيف لا تزهو أنت أيها القارىء المصرى
عندما تعرف أن الأقدار قد اصطفتنا من بين أمم العالم كله لكى
ننشر على الناس مبادئ الحضارة ونخرج الإنسان من بدو الغابة
والصحراء إلى الزراعة والصناعة ؟ ونخطط أول المدن ونرسم أول
الحكومات ونخلط أول الآلهة ونستنبت النحاس والذهب وننحت
الحجر وننشئ على الكيمياء والفلك ونضع للناس — أجل لجميع
الناس شرائع الزواج ؟ .

هذا ما يقرره الأستاذ اليوت سمث هو وطائفة كبيرة الآن من
العلماء . وهذه النظرية ترفع من مقامنا فى عيون العلماء الذين كانوا
يعتقدون أننا شرقيون منحطون لا ننتفع من العالم ولا ننتفعه .
ثم هى مع ذلك نظرية صحيحة يدعمها الاستقراء ويقول بها غير
المصريين من العلماء .

ولكن الأستاذ اليوث سمث يزيدنا وجاهة ومقاما في التاريخ من حيث أنه يقول أن المصريين كانوا شعباً لا يختلف من حيث بنية الجسم واللون من الشعوب التي كانت تعاصره في ذلك الوقت في إنجلترا وأسبانيا وإيطاليا . وهو يقول ذلك بناء على مشاهداته عندما قابل روس المصريين القدماء بروس قدماء الأوربيين . وإذا عرفت أن بعض العلماء يعتقد أن أسلافنا كانوا همجياً ، وأن البعض أيضا يعتقد أنهم يمتون إلى أصل منحط أدركت قيمة هذا البحث الجديد في الدعاية لمصر .

والخلاصة أن العلماء يتجهون في أيامنا إلى القول بأن مصر هي التي أفشت الحضارة في العالم وأن المصريين القدماء لم يكونوا أمة همجية ، بل كانوا أمة متمدنة مثقفة . وأن ثقافتها هذه هي التي يسرت على أوروبا اصطناع حضارة المصريين لأن الأوربيين وجدوا أن القائمين بهذه الحضارة يمتون إليهم بنسب الدم وقرابة العصب فلم يتوجسوا شراً من بدع المصريين بل نقلوها واصطنعوها وارتقوا بها .

والآن أيها القارىء أسألك : إذا كانت الأقدار قد قيضت لآبائنا أن يثبوا بالإنسان إلى نور الحضارة فهل يليق بنا نحن أبناءهم أن نركد فلا نبتدع ولا نثب ؟

كلا . إتالنا نكون حفةة أولناك الءءوء العظام مالنا نقف
فنا مقءمة الأام نعلل لنا العالما ، عملانا ينطوا على الننا الءسنا
النا انطوا علنا ونبشر باءصارة ءءبءة ونعامر من أءل رقا
الإنسان نركب الطائراا ونمءراع فنا ونلناءق بلك الشعوب
النا نءرا منا هؤلاء الءءوء فنلبس لباسلم ونسنا معهم وناققف
بثقافهم .



أغانينا

ألقى الأوصاف للأغاني التي نغنيها وأكثرها وروداً على السنة الكتاب حين ينعنون أحد المغنين بالبراعة والتبريز وصفهم أصواته بأنها « مشجية » . ولم يكن من العبث أو السهو إطلاق هذا النعت على أغانينا لأنها على الدوام ، كما يدل معنى الشجى ، محزنة . وهذا الحزن يبدو في هذه الألحان المطوطة التي تشبه البكاء والعويل بحيث أسمعها غريب عن لغتنا لا اعتقد إننا نتدب ولا نغنى . وقل مثل ذلك أيضاً في ألحان الموسيقى ونغنائها فإنها تتساوى وأغانينا إذ هي مشجية تستثير فينا الحزن وتستخفنا إلى الطرب الذي يتولد في النفس من الأسى والشقاء . ومصداق كلامنا يتضح إذا عرفنا أن بعض المغنين إذا غنى وكذلك بعض الناس إذا سمعه ترقق الدمع في أعينهم وانكسرت قلوبهم وصاحوا جميعاً « آه » . وهل يتأوه الإنسان إلا من وجع وحزن ؟ . وهذا القول يتضح أكثر إذا قابلنا أغانينا بأغاني الأوربيين وقارنا حالة النفس المصرية عقب الغناء أو الموسيقى بحالة النفس الأوربية . فالأغاني الأوربية تبهج النفس وتستخفها إلى طرب الفرح حتى يشعر المستمع أن أعصابه تتفرز ويود لو يقف ويرقص . أما أغانينا فنستخفها إلى طرب الحزن حتى لنود أن نبكى ونشعر كأننا نأسف على ما فات ونخشى ما هوآت .

وليس شيء في العالم يدل على حالة الأمة النفسية من أغانيها
وموسيقاها لأن الألحان تعبر عن النيات المستكنة في النفس وهي
تتبع منها عفواً كما ينبع منها البكاء أو الضحك . وإنما غلب الحزن
و«الشجي» على أغانينا لهذا الظلم الطويل الذي قاسيناه في أكثر من
ألف سنة مضت حتى أصبحت نجوانا إلى الله والدهر نجوى المحزون
اليأس . وإنه لما يدعو إلى التأمل ولا يخرج عن موضوعنا أن
يتلبس «الدهر» الذي ليس في معناه في الأصل سوى الزمن بمعاني
الكوارث والنكبات .

أجل . لقد قاسينا عذاب الولاية والحكام الجائرين في القرون
الماضية حتى صرنا إذا أردنا أن نشدو ونغني بكينا وندبنا . لأن العالم
يبدو لنا قائماً إذا خلونا إلى أنفسنا انطلقت هذه الأنفس التعيسة
بالبكاء والندب وتجاوب القيثارة والمزمار مع صدى أحزاننا فردها إلينا
ألحاناً نكاد نحس فيها نسيج الباكي الولهان وآهات الموضع المحزون .
ولكننا نرى الآن أنه قد آن لنا أن نغير أغانينا وألحاننا . وذلك
لأن نفوسنا التي كان يرهقها وأحياناً يزهقها ظلم الممالك العبيد من
أكراد وأتراك قد تحررت وازدهى العالم في وجهنا بعد القتام .
فجدير بنا أن تكون أغانينا مفرحة مبهجة تملأ نفوسنا تفاؤلاً ونشاطاً
وتجعل شبابنا يتفرز إلى العمل والأمل بدلاً من هذه الأغاني

والألحان الحاضرة التي تكرب نفوسنا وتسكبها وتشل فينا الأمل.
وتحسنا على البكاء .

ولسنا نغنى بذلك أن تكون أغانينا مقطوعات مضحكة وإنما
نعنى أن تكون طبق الحياة فيها المحزن والمضحك كما أن فيها الألم
والفرح . لأنه إذا لم تكن الحياة مهزلة فهي ليست أيضاً مأساة وإنما
هي درامة عادية تختلف فيها الوقائع والعواطف . ولكن كما أن
المريض يجب أن يفكر في الأمل أكثر مما يفكر في الألم كذلك
يجب أن تشرب أغانينا وألحاننا الموسيقية روح التفاؤل والبهجة
والرغبة في الرقي . ولا يكون ذلك بتأليف القصائد التي كان يغنيها
مغنونا إلى عهد قريب في مدح عبد الحميد وعباس وفي تلحين القصائد
القديمة لابن الفارض وأبي فراس . وإنما يريد من شعرائنا أن يؤلفوا
القصائد من الكلام المصري العذب الذي هو وليد ألسنتنا وقلوبنا
لا من الكلام الجاف الذي دونه الزمخشري في معجمه قبل ألف سنة .
ولقد كان كوفوشوس يقول : لست أبالي بمن يسن للناس شرا عنهم
وإنما أبالي بمن ينظم أغانيهم .

ذلك أن للأغانى تأثيراً في النفس أبلغ من تأثير الشرائع .
وذلك لأن الأغنية تخرج من المعنى لحناً يستبطنه النفس .

في الأدب العالمي

ساء بعضهم ماقلته من أنى أعزو تأخرنا إلى أننا ما زلنا نعيش في عصر الزراعة والأدب مع أن العالم الراقى يعيش الآن في عصر الصناعة والعلم . وتوهم من قولى أنى أحض الناس على أن يهجروا الأدب وألا يتدارسوا سوى العلوم . الأمر الذى يدعونى أحياناً إلى الاقتضاب فلا أتوسع فى الشرح ويصعب عندئذ توفى الخطأ . ولذلك أرانى محتاجاً إلى العودة إلى هذا الموضوع بشيء من الإيضاح .

فهذا الأدب الذى تدارسه الآن فى مصر هو أدب منحنط لا ينهض بنا لأنه لايمس حياتنا ، وهذا أيضاً مع استثناء القليل منه الذى يحاول فيه أدباؤنا درس الحياة المصرية . وذلك لأن الأدب لا يخرج عن أن يكون نقداً للحياة . والجرى على قواعد السلف يجعل أدبنا كالعدم ، وهذا كان حال الفنون فى عصر البيزنطيين . ويمكنك أن ترى أثر هذه القواعد إذا زرت كنيسة قبطية فى القاهرة حيث ترى الصور البيزنطية على جدرانها تجرى على قواعد مأثورة فترى الأجسام جامدة لا تلين للعاطفة ولا تؤديها . ويقابل هذا الجمود فى رسم الصور عند البيزنطيين جمود شعراء العرب ومنشئهم

في الشعر والنثر إذ جروا على قواعد مأثورة وهجروا الحياة فحمد
الأدب العربي جمود الفن البيزنطي . ولهذا السبب لا تجد للقصة في النثر
أو للملحمة في الشعر ولا للدرامة ذكرا في الأدب العربي لأنه كما قلنا
قد هجر الحياة . والقصة والملحمة والدرامة كلها تتعلق بالحياة .
وجرينا نحن على مأثور هذا الأدب فصار أدباؤنا في وادوا الأمة في
واد بحيث أنه عند ما هبت الأمة في سنة ١٩١٩ فوجىء الأدباء ببقظتها
فاذا بالآية معكوسة . فبدلا من أن ينبه الأدباء هذه الأمة إذا بها هي
تنبهم . ومهما قيل في ثورة ١٩١٩ فإن الحق الذي لا ينكر أن أدباءنا
لا فضل لهم فيها ، علة ذلك كما قلنا إن أدبهم كان جامدا تقليديا
منحطا لا يمس الحياة وبالتالي لا يوقظ الأمة

هذه واحدة . أما الثانية فهي أن الأدب الحديث قد أصبح أدبا عليا
يعتمد على علم النفس والعمران . فهو بذلك علم من العلوم قد ترخص
فيه الكاتب إلى استعمال لغة العامة بدلا من أن يستعمل لغة العلم .
ولكن طريقته هي طريقة العلوم وغايته غايتها . وهذا مثلا هو
الأدب الروسي الذي يقتدى به في كافة أوربا ويحاول المؤلفون أن
يحتذوا مثاله ليس له ميزة سوى أنه أدب علمي . فهذا مثلا دستوفسكي
يكتب « قصة الآبله ، أو الجريمة والعقاب ، كأنه طبيب شرعي
يكتب تقريرا عن أحد المجانين . وهذا أيضا تورجنيف قد مارس
الطب قبل أن يمارس الفن القصصي . وهذا أيضا ولز القصص الانجليزي

المعروف له كتاب في تشریح الأرنب . وهذا باريون صاحب
اليوميات عالم في التاريخ الطبيعي . بل أدباء الخيال أنفسهم مثل جول
فرن وكوتان دوويل وجاك لندن يبنون خيالهم على قواعد العلم

فالآدب الحديث ينزع إلى العلم وهو من هذه الوجهة لا يقل عن
العلم شرفاً أو امتاعاً أو منفعة وإن كان مع ذلك يتوسل بالعبارة السهلة
و بلوغ الجماهير . دون العلم الذي يقنع بلغة الاختصاصيين ويقتصر عليهم
فاذا أنا تأسفت على أن نهضتنا أدبية زراعية وليست صناعية
علمية كما هي في أوربا الآن فإنما أعنى بذلك إن أدبنا ليس علمياً بل
هو أدب تقليدي جامد يجرى على قواعد ومحفوظات لا تتحرى بحث
بحث الحياة ولا غاية له . وأن أدباءنا يسرون في أدبهم مثل منادرة
الصين الذين يستظهرون القديم ويحترونه ثم يقيثونه على الناس . وأنا
مضطر هنا إلى التعميم المخل لأن المكان لا يتسع للشرح فكان يجب أن
أقول مثلاً أن تيمور يمس الحياة المصرية وإن عندنا غيره قلة
تحمد طريقتهم

ولكن هل هذا ينعني من أن أقول ان الامم الهمجية قد تعلمت
الزراعة وانها ستزاحمنا في أسواق العالم لقله حاجات عمالها وقله أجور لم
وإننا لذلك يجب أن نعمل إلى الصناعة الآلية حتى نثري وتنسج ونستعمر
قطرنا هذا ؟ ثم هل هذا ينعني من أن أقول انه يجب أن نهجر الآدب
كما يمارس في أكثره الآن من حيث قيامه على جودة العبارة وحلاوة
اللفظ واجترار القدماء وادمان التفكير في ابن الرومي وأبي تمام
نكتب بلغتهم ونرطنها رطانتهم ؟

تربية الفتاة المصرية

منظر الفتاة المصرية وهي في ذهابها إلى المدرسة أو إيابها منها من أجمل المناظر الطبيعية . فهناك ترى الشباب مقرّوناً إلى الحياة والعفاف يزينه التألق وسنداجة التلذذة لا يشوبها أدنى هم من هموم المعاش .

ونحن المصريين ليس شيء في العالم نهتم له ونفكر فيه ونرجو منه الخير مثلاً نهتم للمرأة المصرية ونفكر في شأنها ونرجو منها الخير لبلادنا في المستقبل . ولذلك فأبهج المناظر لدينا هو منظر الفتاة المتعلمة . تتأملها مغتبطين نأتس بها ونحد فيها الزوجة المستتيرة التي تغذ وأعيننا وقلوبنا بمرأى الأطفال النظاف والآثاث المرتب .

وإنما نعلق هذا الرجاء على المرأة المصرية لأننا نجد فيها سبيل السعادة والحضارة معاً . فهؤلاء الأوربيون يسبقوننا في أشياء كثيرة ولكن أعظم ما يسبقوننا فيه عنايتهم بالمرأة . فقد رفعوها إلى مستوأم وعلموها واكسبوها جميع الحقوق الدستورية والمدنية فاستجابت هي لهذه العناية وأصبحت رفيقة الرجل وزميلته في بيته وجعلت هذا البيت جنة تغريه بالإقامة فيه وذلك في حين أننا لانقيم بيوتنا لإسواد الليل وأوقات الطعام كأنها فنادق أو مطاعم .

ثم نحن نرى كثرة الوفيات بين الأطفال عند الأوربيين فنعزو ذلك إلى سوء التعليم أو عدم التعليم . ثم هذا التفاوت بين تربية الشاب المصري ، التي لا تقل الآن عن تربية الشاب الأوربي، وتربية المرأة التي لا تختلف أحيانا عن تربية جدتها، قد يكون أحيانا كثيرة ماثرا للخلاف بين الزوجين . لأن الزوجة تعاشر زوجها وتحادثه فإذا لم يتفقا في الأذواق والمشارب والأخلاق ساءت بينهما العشرة . وهذا الاتفاق ان يكون حتى تتعلم المرأة المصرية وترتفع إلى مستوى زوجها . ومن هنا ذلك الفرح الذي نشعر به كلما سمعنا بافتتاح مدرسة للبنات أورانيا فتاة مصرية متعلمة . ومن هنا أيضا ذلك الحب الذي نشعر به الآن بعد جحود طويل لقاسم أمين ، فقد فتح أعيننا وقسرنا على أن نرى العالم كما هو ووضع أصبعه على الجرح عندما عزا تأخرنا إلى جهل المرأة المصرية وحجابها .

فنحن كلنا الآن بفضل قاسم أمين نرغب في تحرير المرأة وتعليمها . ونحن كلنا الآن نعرف أنه كان على صواب في دعوته وان الذين قاوموه أو شتموه مثل الخديوي وطلعت حرب ووجدى وغيرهم كانوا على خطأ . ونحن كلنا الآن نفرح بانتشار المدارس ونأمل في اليوم القريب حين نرى في مصر مثلما نرى في أوروبا القاضيات والطيبات والمحاميات وربات البيوت المتعلمات .

ولكن تربية الفتاة المصرية يجب أن نسير فيها بحذر ونرى منها

إلى غاية هي أن تكون فتاة متحضرة مثقفة تعيش في بيتها عيشة النظافة
العلية حتى لا يموت واحد من أولادها . وتستطيع أن تجارى زوجها
في تجديد ثقافته حتى لا يحدث التفاوت شقاقا بل تستطيع ، إذا مات ،
وكان صاحب متجر أن تدير متجره أو صاحب أرض أن تزرعها
بدون حاجة إلى وصى يأكل أموالها وأموال أيتامها . فهي في حاجة
لذلك إلى تربية حديثة أبعدها ما تكون عما تناله الآن في المدارس
الأولية . فإن لنا آراء شرقية يوهنا كبرياؤا الوطنى أنه يجب علينا
أن نحتفظ بها في المدارس ولو تحققنا خطأها . وهذا غلط فاحش
يجب أن نكف عنه . ولكن يجب أيضا أن نكف عن ذلك السخف
الذى يدعونا إلى تعليم الفتيات قشور الفرنسيه والانجليزية .

شر ما في تربية الفتاة المصرية ذلك الزهو الكاذب الذى يدعو
الآباء إلى تعليم فتياتهن مبادئ اللغة الانجليزية أو الفرنسية لأن
المرطانة يبضع كلمات تدل كما قلنا على السخف والزهو لاعلى التربية .
وإنى واحد من الذين عالجوا تعلم اللغات وأعرف من اختبارى
الشخصى أن المعرفة اللازمة لقراءة كتاب ناضج فى الانجليزية لا تحتاج
إلى أقل من ٥ سنوات فى الدرس الجدى المتواصل . وأية فائدة
تناها الفتاة من اللغة إذا لم تستطع قراءة كتاب فيها ؟

عدو الظلم والاضطهاد

من الناس من تقرأ ترجمتهم فكأنك بذلك تقرأ قصيدة
سامية حوت من المعاني أشرفها ومن المقاصد أعلما . فتقرأ
وأنت في لذة وطرب تشبهان ما تشعر به عند سماع أحد الأدوار
الموسيقية الأنيقة

وإذا كانت حياة كل منا تجرى أو بالأحرى تمشي في طرق
مألوفة معبدة لا تصطدم بصخرة ولا تقاومها موجة حتى كأسها النثر
السلس فان في حياة الأبطال أمثال فولتير وجيته من الشعر والإيقاع
والموسيقى ما يجعلنا نتصفح حياتهم ونعاود التصفح كما نعاود سماع
قطعة موسيقية مطربة

ثم كلما ألمت بنا مصيبة من طاغية يطغى أو رئيس يتنطع في
السياسة أو الدين عدنا إلى فولتير فنجد فيه العزاء والدواء . فقد
أهضى حياة طويلة بلغت ٧٣ سنة وهو يحارب الجور والاضطهاد
ويزرع في الناس بذور الحرية ويداور الحكام الطغاة ويمكر بهم
ويطبع كتبه بغير اسمه لأنه لم يكن يبغى منها الشهرة بل كان يبغى
نشر الأفكار والآراء . ولكن الشهرة جاءتة حتى أنه عندما زار
باريس في آخر حياته كانت رحلته من سويسرا إليها في رأى أحد

الأدباء الانجليز ، من أكبر حوادث القرن الثامن عشر ، لكثرة
من وفد عليه من الأهلين لرؤيته حتى كانت سفرته أشبه بالموكب
منها بالسفر المألوف

وحبس فولتير مرتين في الباستيل شيخ السجور ورمز
الاضطهاد ونفى مرة إلى انجلترا وكل ذلك في سبيل رفعة الإنسان
وتحريره من الخرافات وهدم السلطات الجائرة . ولكنه عاد من
انجلترا وقد ازداد قلبه قوة وتقديراً للحرية

وإذا ذكرنا فولتير ذكرنا ابتسامته التي لا تفتأ تلعب بل ترقص
على شفتيه ، ابتسامة الحنان والشفقة للنكوبين والمظلومين ،
وابتسامة التهمم والتفريع للطغاة والظلمة . فقد حكى أنه عندما خرج
من الباستيل بعث بخطاب للملك فرنسا يقول فيه : « أرجوك يا مولاي
ألا تكلف نفسك في المستقبل نفقات مسكني »

ولما أعياه المرض وانطرح على فراشه وأخذ في نزع الموت
حاول الذين حوله أن يستخلصوا منه اعترافاً فقال لهم : « أموت
في حب الله وحب الأصدقاء لا أكره أعدائي وإنما أمقت الخرافات ،
فوضع هذه الكلمات قانوناً جديداً للإنسان

وفي سنة ١٧٩١ أي بعد أن مضى على موته ودفنه ١٣ سنة
أخرج أهل باريس رفاته وحملوه في موكب على نعش كأنه عرش

يحف به الزهر ويتعالى حوله الهتاف ويسير الناس وراءه بالالاف
هذا يصفق وهذا يهتف وهذا يبكي من الفرح وهذا ينشد له مقطوعة
من الشعر وهذا يحمل في يده حكمة مما فاه به في حياته حتى إذا بلغوا
الباستيل الذي حبس فيه مرتين وكان الباريسيون قد هدءوه وضعوه
على أنقاضه وقد كتبوا فوق نعشه : « وفي هذه البقعة حيث قيدك
الاستبداد تقبل طاعة الأمة الحرة »

ولكن يجب ألا ننسى شيئاً قاسياً مفعماً حدث في هذه المظاهرة
الحرة التي أعلن فيها انتصار الحرية على الاستبداد . فبينما كان أهل
باريس يحتفلون بملك الأدب ويسرون وراءه وسهم عارية، والناس
في بيوتهم يشرفون من النوافذ ويهتفون عند مرور النعش بهم
ويدعون بالحياة لهذا الميت، كان في باريس شخصان اثنان يسمعان
الهتاف ولا يطلان من النوافذ . وهذان الشخصان هما الملك لويس
السادس عشر والملكة ماري أنطوانيت زوجته .

والآن كلنا يحب فولتير وكلنا يقرأ حياته كما يسمع دوراً من
الأدوار الموسيقية المطربة وكلنا يقرأ مؤلفاته التي تبلغ نحو التسعين
وكلنا ينتفع بهذا الحكيم الذي بذر البذرة الصالحة فأثمرت في العقول
وكسرت شوكة الظلم والاضطهاد . وكلنا أيضاً يشعر بشرف هذه
الحياة التي أمضيت في خدمة الإنسان .

ولكن ثم شىء سافل يجب أن نذكره بجانب هذا الشرف
وهو أنه في سنة ١٧١٤ عندما عادت الملوكية إلى فرنسا أمر الملك
فأخرجت جثة فولتير من مدفن العظام فأحرقت بالجير وبعثرت .
ولكننا مع ذلك نذكر الآن فولتير ولانذكر اسم هذا الملك النكرة
ونعجب بشهامة الأول ونشتمز من سفالة هذا الثاني



القرية المصرية

ليس في العالم بلاد اشترك فيها الحظ الحسن مع الحظ السيء .
في تاريخها مثل بلادنا . فبينما نرى تاريخنا مجيداً عظيماً في عصر
الفراعنة أو الفاطميين نراه قبيحاً حقيراً في عصر المماليك والأتراك .
فإننا نقرأ الآن تاريخ هؤلاء . ونعجب للعلة التي منعت الناس من قتل
ولاتهم الظلمة مع أنهم كانوا فئة قليلة سافلة الأخلاق لا تستطيع
أن تصبر على جلاد . ولكننا إذا تدبرنا الثقافة السائدة في تلك
الأيام عرفنا علة هذا الخضوع للظلم في آباتنا ورددناه إلى أصله وهو
أنهم كانوا يحكم هذه الثقافة متواكفين يقولون بالخضوع لأولى الأمر
والطاعة للسلطان . ونحن نحمد الأقدار الآن على أننا لانخضع لأولى
الأمر إذا خرجوا عن دستور البلاد وأنا منذ سنة ١٩١٩ قد عرفنا
أن للثورة فائدة ترد الظالم إلى عقله وتنزع من الغاصب سلطاته .
ولكننا ما زلنا ننظر إلى بعض شئوننا نظر آباتنا مدة المماليك
وخاصة في نظرنا إلى أخينا وأبينا وعمنا وابنا: هذا الفلاح . فقد كان
المماليك أجانب عن البلاد حمر الوجوه زرق العيون لهم في معيشتهم
وأجسامهم نعومة مزرية وكانوا ينظرون إلى الفلاح المصري كما
ينظر الأبيض إلى الزنجي يحتقرونه ويسخرونه لأعمالهم ويسرقون

أمواله ويهتكون أعراضه من ناحية ، ومن الناحية الأخرى يبنون المساجد والأضرحة له ويحبسون الأموال التي اغتصبوها منه على الأربطة . فكانوا في صلاحهم أشبه بالمجرم يساوم ربه على الحسنات والسيئات يقيم الأولى حتى يستطيع أن يترخص في الثانية . ونحن وإن كان حكم المالك والأتراك الفعلي قد زال من البلاد زوالاً أبدياً فإن حكمهم المعنوي لا يزال قائماً في احتقارنا للفلاح والصانع ، ولذلك فإن القرية المصرية مع تقدم العمران في بلادنا وارتقاء أحوالنا الاجتماعية لا تزال كما كانت مدة المالك أكواخا قدرة من الطين المجفف بالشمس . ولا تزال هذه الأكواخ خالية من مبادئ الصحة والنظافة ليس فيها مراحيض أو مطابخ يختلط فيها مكان الماشية بمكان الناس . وبيننا ينفق بعض الأفراد في بلادنا ألوف من الجنيهات في العام لا ينفق الفلاح أكثر من عشرة جنيهات هو وعائلته يعيش بها وهو في بؤس وقدر وفاقة لازمة .

وريفنا جميل تنبسط فيه الأرض بساطاً أخضر يغذو العين بنضرتة طوال السنة ولكن القرية المصرية تبدو فيه كالرمة البالية كدرة خبراء وبيئة لا تنزع عنها الأمراض حتى أن الأجنبي الداخل لمصر يجزع لرؤيتها ولا يكاد يصدق أننا أمة متمدينة . ولقد زارنا ابن سعيد وهو شاب أندلسي ، مدة الأيوبيين وهم الملوك الأكراد الذين حكموا مصر في القرن الثالث عشر ، فما راعه شيء بعد جمال

الأندلس مقدار ما راعه منظر القرى المصرية حيث قالى : « ولقد
تعجبت لما دخلت الديار المصرية من أوضاع قراها التى تكدر العين
بسوادها ويضيق الصدر بضيق أوضاعها ،

ولابن سعد الحق فى أن يقول هذا القول عن قرانا فقد نشأ
فى أوربا بين القرى الأندلسية . ومن يعرف القرية الأوربية يجزع
من رؤية قرانا وبهوله ما فيها من قدر وكدر . فإن القرية فى فرنسا
متنزه جميل قد كسيت شوارعها بالبلاط . وفى هولندا تغسل
الفلاحة جدران بيوتها بالماء والصابون ولا تدخل الماشية من الباب
الذى يدخل منه أهل البيت . ومعظم القرى تضاء الآن بالقوة الكهربية
وإذا بلغ الفلاح سن الستين فى إنجلترا نقدته الحكومة معاشا سنويا
قدره ٨٠ جنيتها .

ونحن فى مصر قادرين على كل ذلك لا يمنعنا منه سوى التقاليد
التي ورثناها عن المالك والأتراك فى احتقار الفلاح والفلاحة .
وهؤلاء كان لهم العذر القبيح فى أن الفلاح كان أجنبيا عنهم لا يتكلم
لغتهم ولا هو ناعم البشرة أزرق العين مثلهم . ولما كان كيف يقوم
لنا نحن عذر وهذا الفلاح هو من لحمنا ودمنا ؟

قصيدة الحياة

لقد أتاح لي الحظ الحسن أن أجالس عظيمًا إنجليزي المولد
وطني العالم عرضت معه تاريخ حياته فكانت كالتصيدة العصماء
تخرج منها من بيت سرى إلى آخر أسرى وتجتاز بالموقف الشريف
إلى موقف أشرف وأنصع . وهذا العظيم هو السير ويلكوكس
وحياة السير ويلكوكس قصيدة لا تتخللها أدنى ركلة أو تفاهة
عاش إلى الثلاثين في الهند وكان يشتغل بالهندسة وبشيء آخر لا يزال
يشتغل به إلى الآن وهو يحبو إلى الثمانين أعني به البر .

فالسير ويلكوكس رجل يحترف البر منذ شبابه إلى الآن . كان
وهو مهندس في القرى الهندية يعالج المرضى ويغسل لهم جروحهم
بيديه ويحادثهم عن المسيحية ويحادثونه عن البرهمية . وهو لا يزال
للآن ذلك الرجل البار القديم يعمل في أحد المستشفيات في القاهرة
يخفف آلام المرضى وينفق من ماله القليل على أرواحهم وأجسادهم
وهو مع أنه إنجليزي يؤمن بفائدة الإمبراطورية البريطانية ،
فإنه وقف موقف الخصم لحكومته التي أنهته بالقذف والفتنة لكي
يدافع عن مصلحة مصر في مياه النيل . فهو إنجليزي بمولده ولكنه
يدافع عن الحق ولو كان ضد بلاده

فهذا بيت مجيد من أبيات هذه القصيدة العصماء . ولكن حياة ويلسكوكس كلها جهاد في الحق والبر وكلها تجارب سامية . نشأ في الهند ثم قدم إلى مصر فوجد الفلاحين يسخرون بلا أجر في حفر النهر فعمل على إلغاء النسخير ورفع عنا وصمة قديمة وألما فظيما كان يعانيه أباؤنا . ثم انتدب في تقرير الضرائب فسار بها بالعدل بين الملاك . ثم سافر إلى خط الاستواء بين الزنوج في البحث عن مياه النيل ووضع الترسيمات للخزان وانتدبته حكومة العراق لدرس أحوال الري فقام أيضا بهذه المهمة وهو الآن في شيخوخته الهنية يخدم المرضى ويواسي المنكوبين .

فأية حياة في العالم أحفل من هذه الحياة بالجهاد في سبيل الحق والخير وفي خدمة الانسان هندية كان ، أم مصر يا ، أم انجليزيا ، أجل . إنها حياة مملوءة بالتجارب السامية . رأى صاحبها خط الاستواء وحره المزهق وناسه الهمج كما رأى ثلوج انجلترا وحضارتها الراقية ورأى الهند كما رأى مصر والعراق . وله ضمير كلما عاد إليه أذكره بيره للفلاح الهندي أو المصري فيرتاح للذكرى ويأنس إلى هذه النفس السخية التي ناداها الحق فاستجابت لندائه واصطرع فيها العالم والوطن فدأثر العالم على الوطن . ان في حياة معظم الناس وفي أخلاقهم من الجبن والأناية ما يجعلنا نكره اناس ولكن في حياة ويلسكوكس ما يجعلنا تؤمن بالانسان وتنظر إلى

المستقبل بعين الرجاء حين يصير الحق غاية والعالم وطناً وخدمة
الإنسان الغرض الأسمى من الجهاد .

وينوء السير ويلكوكس الآن بهمين ثقيلين من همومنا المصرية
الأول أن الفلاح المصري يزرع الأرض ولا ينال إلا أجراً يسيراً على
كده وكدحه ، والثاني أننا لانكتب بغتنا المصرية العامة دون العرية
القديمة وهو يقول بوجوب تحديد الإيجارات بنسبة الضرائب
وأيضاً بتدوين العامة حتى يتيسر للفلاح أن يقرأ بأقل عناء .
وليس شك في أن الرجل ينوى الخير لنا في كلا القولين . وقد عاش
في مصر أكثر من ٤٥ سنة ومارس من شؤون الفلاحة والرى
ما لم يمارسه كثيرون منا وعرف الفلاح القديم الذي كان يعمل
مسخراً والفلاح الحديث الذي خرج في سنة ١٩١٩ يقطع السكك
الحديدية ويطلب الاستقلال . ولكنى أنا لا أبالي بآراء السير
ويلكوكس مقدار ما أبالي بحياته . فهذه الحياة يجب أن تكون قدوة
لكل منا لأن هذا الرجل قد عاش تلك الحياة الخصبة الوفيرة حياة
العمل والجهاد للحق والعدل والخدمة للناس واحتفظ بصحة الشباب
في سن الثمانين وتمتع بأرقى ما يتمتع به الإنسان الراقى من التجارب
والاختبارات .

كيف نربي أنفسنا

نحن نعيش مرة واحدة في هذه الدنيا فمن واجبتنا أن نعيش فيها أحسن عيش مستطاع نسكن أفضل المنازل ونقرأ أفضل الكتب وتأكل أشهى الأطعمة ونتمتع بروية الأقطار المختلفة ونزداد بتقدم العمر حكمة وصحة وتجارب وعلمًا .

ولكننا لن نستطيع هذه العيشة ما لم نعلم إلى أنفسنا فربها ونعودها العادات التي تساءدنا على الرقى فان الجسم الإنسانى سريع إلى الطاعة للعادة ينقاد إليها ويؤديها عن رضى وارتياح . وأنت عند ما تقرأ سيرة أحد العظماء تعجب لوفرة أعماله وتتساءل : كيف توافر له الوقت أو أسعفته صحته أو كيف أخلص له أصدقاؤه حتى أمكنه أن يؤدي هذه الأعمال كلها ؟

ولكن الواقع أن الوقت والصحة والفرص متوافرة لنا جميعا وإنما تضيع منا لأننا قد اعتدنا عادات سيئة . فهذا رجل يرجع فشله فى الحياة مثلا إلى أنه يضيع كل يوم من وقته نحو الساعتين فى الركود على القهوة وهو قاعد كأنه الماء الأسن لا حركة ولا تفكير ولا هممة ، تخرج منه أنفاس الدخان فى كسل وتراخ كأنه يريد أن يموت . فهذا رجل لا يتمتع ولا ينتفع بالحياة ولا ينتفع غيره .

وتم رجل قد اعتاد مخاصمة الناس فهو في نزاع دائم مع كل من يعرف . يقضى وقته في قيل وقال وفي مشاغبات في المحاكم . وهو منغص مشغول في غير شاغل مفيد طوال حياته .

هؤلاء . وأمثالهم قد اعتادوا عادات سيئة تقصيرهم عن التمتع بالحياة بأرقى معاني التمتع . وقد يموت أحدهم في سن الستين أو السبعين وعقله في مستوى عقول الصبيان لم يتهذب بثقافة ولا بسياحة ، لو عدت ما قضاه من الوقت على القهوة في فارغ الشئون لبلغ عدة سنوات من عمره . فنحن إذن في حاجة إلى أن نربي أنفسنا ونعتاد منذ الصبا أو الشباب عادات تلزمنا مدى حياتنا فتزيد سعادتنا ومنفعتنا لأنفسنا ولغيرنا . وأهم هذه العادات تلك التي تحفظ لنا صحتنا مدى حياتنا فانه لا هناء ولا تمتع بلا صحة . وقد قيل أن من الناس من يحفر قبره بأسنانه لكثرة نهمه . ولكننا نعرف الآن أن الصحة تضيق بأشياء أخرى أيضا غير الطعام منها قلة الرياضة ومنها إعتياد الشراب أو سائر المخدرات .

ثم نحن في حاجة إلى اعتياد الدرس بموالاتة القراءة . فان الميزة الحقيقية التي تميز الانسان على الحيوان الآن هي أنه حيوان مثقف لأن المحرومين من الثقافة هم من الانحطاط بمثابة الحيوان . وإذا نحن عشنا بلا ثقافة لا نقرأ ولا نفكر في تاريخ هذه الدنيا ومصيرها وعلومها وآدابها فأننا نعيش عيشة حيوانية . فيجب أن نغرس في أنفسنا عادة الدرس ونعيش مدى حياتنا طلبة مجدين في جامعة الدنيا .

ثم يجب ان نعتاد الرقاهية فلا نقنع بالدون من أى شىء لا فى المسكن ولا فى الطعام ولا فى الشراب . والفنون الجميلة نفسها لا يبحثها فى نفوسنا سوى نزعة الرقاهية إلى نزعة الفهم أو التفهم . فيجب أن نتأق فى الحياة ونعتبر المعيشة فنا جميلا نمارسه بذكاء وذوق . والعبرة على الدوام بالنزعة فإذ مناتأق فى المسكن والمطعم والملبس فاننا نتأق فيما نقرأ فلا نرضى لأنفسنا قراءة كتاب سخيف أو صحيفه خلية كما لأنرضى بأن نعمل عملا ناقصا غير متقن لأننا نتأق فى كرامتنا

وأخيرا يجب أن نعتاد المعاشرة الحسنة مع الناس وخاصة مع عائلتنا حتى لا نعيش منعصين حاسدين محسودين فيذهب مجهودنا العصبى فى غير فائدة وتزيغ أبصارنا عن طريق الخير والمنفعة

وفى كل منا غرائز حيوانية إذا استسلنا لها أنهكت قوانا واختصرت أعمارنا وعشنا بها كالبهايم فلا بد من أن نعود أنفسنا عادات الاعتدال فيها حتى تتوافر لنا من أبداننا قوة تقوم بتحقيق الغايات العليا من الدرس والمنفعة والتمتع بالمتع الأنيقة السامية التى لا يستطيع الحيوان أن يتمتع بها لأنها من احتكارات الانسان وبرهان رقيه

يجب أن نرتب حياتنا بحيث نستغلها إلى أقصى ما فيها . ولا يتيسر ذلك لنا حتى نعتاد عوائد حسنة فى ادخار الوقت والمال والصحة والتوفر بها كلها على الدرس والسياحة وخدمة الناس والعمل لرقى المهية الاجتماعية التى نعيش بين ظهرانها بترقية العلوم والفنون

سعد والشبيبة

عما تمدح عليه شبيبة البلاد تعلقها بسعد ذلك التعلق الذي كان أشبه بالرباط السحري بينها وبينه . وقد حاربت القوة الغشوم أن تقطع هذا الرباط فلم تفلح .

والشبيبة جذيرة بالمدح لتعلقها بسعد لأنها إنما تعلقت باخلاصه للوطن ونشاطه في خدمته وولائه على مبادئه وثباته في إيمانه . وهذه صفات ، بل مناقب ، لو لم يكن يقدرها شاب في نفسه لما قدرها في سعد . لذلك كان تعلقه بسعد تعلقاً بالفضائل السامية التي تمثلت فيه .

ولكن سعداً كان على خلق عظيم وشابنا يجهل بعض نواحي هذا الخلق . ونحن لذلك ذاكرون بعض هذه النواحي كي يقتدى بها الشاب في خدمة نفسه وأمه . فمن ذلك أنه عاش طول حياته طالباً للعلم يدأب في الدرس وكلما وصل إلى مرتبة من الرقي طلب ما هو أرقى منها . فقد نشأ شيخاً أزهرياً معهما ثم خلع عمامته ولبس الملابس الأفرنجية . ثم اشتغل بالأدب فصار محرراً في الوقائع المصرية ولف كتاباً في ذلك الوقت في الانشاء لتلاميذ المدارس عمد فيه إلى تخليص العبارة العربية من الاغراق في الأسجاع والزخارف . ونشبت بعد ذلك الثورة العراقية فكان في صف العدل يقاوم ظلم

الخدوي . ثم توظف في الحكومة ، واستقال منها فدخل في المحاماة وهي ميدان جديد محفوف بالمكاره فلم يقنع بما قنع به غيره بل أخذ في الدرس ومقابلة الشرائع والتفقه فيها وعاد وهو في سن الأربعين طالباً يتقدم للامتحان في باريس لينال شهادة الحقوق .

فتأمل أيها الشاب في هذه الهمة العظيمة التي تحفز شاباً أزهرياً معماً إلى درس اللغة الفرنسية ثم القوازين الفرنسية والسفر إلى باريس للامتحان في سن يشعر فيها غيره ببوادر الشيخوخة . أليس في هذه الهمة ما يحفزك إلى أن تنظر إلى ما هو أرقى من مركز الحاضر فتجهد جهدك لكي تبلغه ؟

ولكن سعداً كان شاباً حتى في شيخوخته بل في نهاية شيخوخته . فقد سمع عن عظمة المانيا وراقبها وهو في سن الستين فشرع يتعلم الألمانية كأنه شاب . بل ماذا أقول ؟ كأنه صبي يتعلم حروف الهجاء وأخذ يحفظ عن ظهر قلبه الألفاظ ويحاول أن يلوى لسانه على مخارج النطق الألمانية . فهذا ما كان عمله سعد لكي يرقى نفسه ويشعر بأنه بتقدمه في السن يتقدم في العلم وهذا ما يجب أن يفعله كل منا . يجب أن نبقى طلبة في جامعة العالم نتعلم وندرس ولا ندخل القبر إلا وقد حوينا في صدورنا أجمل ما في هذه الدنيا من علم أو أدب كما يجب أن نطلب الرقي لا نرى مرتبة من مراتب الرفعة الاطمعنا فيها وأملنا في بلوغها . ولكن سعداً لم يكن يخدم نفسه فقط بنزوة نفسه

وتهدئها وإنما كان يخدم أمته أيضا . وانضمامه إلى الثورة العراقية
برهان على يقظة ضميره وهو بعد شاب ثم يبلغ الثلاثين وقد ضحى
بمركزه في المحاماه وما كان يجنى منها من الأرباح الطائلة لكي يخدم
القضاء المصرى . فلما رأى الفرصة سانحة في خدمة الحركة الوطنية أخذ
يعزينا بماله وآرائه كما شهدت بذلك جريدة المؤيد . ورأى ميلا من
الحديو عباس الى الاستبداد فقام وكافح . ثم جاءت سنة ١٩١٩
وتاريخ سعد بعد ذلك هو تاريخ الأمة المصرية بأجمعها . وهذه العجالة
لا يتسع فيها المجال لذكر تاريخ أمة . والآن ماذا نحب في سعد .
نحب فيه أنه كان مصريا صميا له وجه الفلاحين والفراعنة وكان
يرقى نفسه يدأب في الدرس ويتطور مع الزمن متمشيا مع روح
العصر يدرس اللغة الفرنسية في سن الأربعين واللغة الألمانية في
سن الستين . ثم كان مصريا يخلص الولاء لمصر فلم يقل مرة أننا
أمة عثمانية مثل الذين ضلوا بعد عرابي . وكان يضحى بكل شيء في سبيل
الوطن يرضى بالنفي والأهانة وهو ثابت على ولائه لا يتزعزع فسعد
قوتنا جميعا ، يجب على كل شاب أن يقتدى به في ترقية نفسه وفي
خدمة وطنه .

في الصحافة

كثير من الناس لم تقدر لهم الاقدار أن ينالوا تلك التربية المدرسية العالية التي تفتح الذهن للثقافة القديمة والحديثة ولكنهم بمواصلة القراءة في الصحف الراقية استطاعوا أن يبلغوا مكانة عالية في الثقافة والتربية . وهذا هو السبب في أن معظم الأدباء في أوروبا لم ينالوا شيئاً سوى القليل من التربية المدرسية ولكنهم نشأوا على أن يقرأوا من الصحف الراقية ما ابتعث في نفوسهم ذوقاً للادب والعلم وهداهم الى الكتب التي نزعت بهم الى نزعات الرقي المختلفة وحشدت رءوسهم بضروب الثقافة .

فالصحيفة الراقية تقف الآن الى جانب المدرسة والجامعة وتنافسهما في نشر التعليم وابتعاث الاذواق والنزعات . وتأثير الصحيفة في القارى . أكبر من تأثير المدرسة أو الجامعة لأنه يقرأها مختاراً فهو يتقبل آراءها بقوة الايمان الذي تبعه اللفظة المطبوعة وبقوة التكرار الذي هو طبيعة الصحف الدورية . أما في المدرسة والجامعة فان الاجبار يثير في نفس المتعلم شيئاً من المقاومة والكراهية

حتى أننا قلنا نقرأ كتابا من نوع ما كنا نقرأه في أيام التعليم ولا ننظر بعد تركنا المدارس الى الكتب المدرسية الا بشيء من الكراهية هو أثر الشعور السابق بواجب الدرس. ولكن منا من يحب صحيفته ويتأنق في اختيارها كما يتأنق في اختيار الاصدقاء. وعلينا جميعا أن نقاطع الصحف التي تعمل للعداوة بين الناس وتدعو الى التعصب الديني وتمتدح الجمود وتؤيد الاساطير.

وليس شك في أن الصحف المصرية قد ارتقت هذه السنين الاخيرة وصار عندنا وزراء وعلماء لا يجحدون من الغمط لأنفسهم ان يكتبوا فيها وصار للرأى العام عن طريق هذا الصحف قوة يخشاها ذوو النيات السيئة للبلاد.

ولكن صحفنا مع ذلك لم تبلغ حد الكمال فلا يزال بعضها يؤثر الطرق القديمة في ملء انهرها بالكاتب المتطوع لأنه أرخص من الكاتب المأجور. ولكن قليلا من التجارب يثبت أن هذه الطريقة في الاقتصاد هي أكثر إسرافا من دفع الأجر المناسبة لمن به كفاية من الكتاب.

وعلى ذلك يجب أن يختار القارىء من الصحف ارقاها حتى ترفعه وتسمو به وتحثه على الخير والبر في العالم. وعليه أن يتأنق في أن أكبر أنواع الجهل ليس جهل الفلسفة أو التاريخ بل جهل هذه الدنيا التي نعيش فيها. وتلك الصحيفة التي تبالي بتوديع مأمور أكثر

باعتصاب العمال في اليابان تجنى على عقول قرائها جناية قد لا تغتفر .
إن شبيهة مصر يجب أن تكون راقية الذهن وواقفة على أحوال
العالم واتجاهاته في تطوره الحاضر حتى تعرف العالم ومكانة مصر منه
ولا سبيل لها إلى ذلك سوى الصحافة. فإذا لم يخدم محررو الصحف
القراء من هذه الناحية فانهم يهملون اهمالاً فاضحاً في أداء مهمتهم .



مصر مركز الثقافة العربية

أيها القارىء... ..

تفكر وزارة التربية والتعليم الآن فى تأليف موسوعة كبيرة للمعارف للامة كما تفكر فى انشاء مجمع على يساير الحركة العلمية والأدبية أو يروء الطريق لها ويمهدا بانشاء الألفاظ التى يحتاج إليها الأديب أو العالم . ويضع لها معجماً .

ولمصر تقاليد فى إنشاء الموسوعات ليس قطر من الأقطار العربية ينافسها فيها . ففيها وضع ابن منظور معجمه بل موسوعته الكبرى « لسان العرب » ، وفيها وضع النويرى موسوعته الكبرى الأخرى « نهاية الأرب » .

وبديهى أن الموسوعة التى تنوى وزارة المعارف وضعها ستقوم فى الأكثر على الترجمة وستختلف عن طريقة ابن منظور والقلقشندى وغيرهما كما يختلف زماننا عن زمانهم . فقد عنواهم باللغة والألفاظ عناية كبيرة ولم تكن غايتهم من هذه العناية الدقة بل الزخرفة . ولكتنا نحن فى حاجة اليوم إلى الدقة فى التعبير أكثر مما نحن فى حاجة إلى الزخرفة لأننا نعيش فى ثقافة علمية أو يجب أن نعيش كذلك . فحاجتنا إلى العبارة الواضحة الدقيقة أكبر من حاجتنا إلى الزخارف والبهارج .

وقد كانت ثقافة العرب أدبية ولذلك عنوا بهذه الزخارف .
أما الثقافة الحاضرة في أوروبا فتتجه نحو العلم . والحضارة الراهنة
تنحو نحو الصناعة ولذلك نحسن في أشد الحاجة الى أن تكون عبارتنا
واضحة دقيقة مختصرة . فاذا كانت المعاجم العربية تذكر مائة اسم
للأسد فنحن في معجمنا الجديد يجب أن نقنع بواحد ولكن يجب
في الوقت نفسه أن نزيد على ألفاظ هذا المعجب اسم خاص
بالاجهزة والادوات الكهربائية مثلا .

وكذلك الحال في الموسوعة يجب أن نغني فيها بالثقافة الحديثة
عناية كبيرة . ويجب أن نجعل غايتنا توجيه القراء الى ناحية العلم
والتفكير في المستقبل دون ناحية الأدب أو التفكير في الماضي .

ونحن الآن في مركز الزعامة للثقافة العربية من مراكش غرباً
الى العراق شرقاً . ولنا من الاوربيين مزاحمون في الثقافة فاذا لم
نجعل ثقافتنا وفق العصر الحاضر بحيث يجد فيها القارىء العربي
ما يعلبه ويهذبه ويسمو به الى آراء القرن العشرين فانه لا بد تاركنا
الى اللغات الأوربية التي تغذوه بالآراء الحديثة .

ونحن نرى في مصر وسوريا الآن طائفة من الشباب المتعلمين
تركونا وتعلقوا باللغات الأوربية لانهم لم يجدوا في ثقافتنا ما يغذو
نفوسهم ولانهم وجدوا أن أدبنا ما زالوا يهرجون لهم في اللفظ
ويذكرون لهم أبطال الأدب في بغداد والبصرة قبل ألف عام دون
عناية بما يجرى الآن حولهم .

ولنا شباب آخرون تعلقوا بالثقافة العربية القديمة التي أصبحت لا تتفق والعصر الحاضر فصاروا ينظرون الى كل نزعة جديدة بعين المرتاب الذي يخشى منها كفراً جديداً أو تفرنجاً سهيفاً .

فلهؤلاء ولهؤلاء . نحتاج الى موسوعة جديدة للعارف ومعجم جديد للكلمات يكونان دستوراً للاديب يجذبان الينا أولئك الذين هجرونا الى الآداب الاوربية ويفتحان أعين أولئك الذين يتعلقون بالقديم للثقافة الحديثة .

وكلنا يرغب في أن يتوحد العالم العربي في اللغة العربية ولكننا لانحب أن نضحى في ذلك بشخصيتنا ولا نحب أن تكون الرابطة بيننا وبين سائر الاقطار العربية رابطة لغوية فقط . وإنما ترتبط بهذه الاقطار بثقافة حديثة قائمة على العلم والصناعة تربطنا جميعاً برباط الحضارة لا برباط البداوة ، فسبيل التعارف والتآلف بيننا يجب أن يكون قائماً على الآراء الحديثة في الحكومة والزواج والاصلاح الاجتماعى والمخترعات والمكتشفات العلمية وبعبارة أخرى يجب أن ترتبط برباط المدنية الحديثة والثقافة الحديثة حتى نتحد عواطفنا الاجتماعية وغاياتنا الاصلاحية .

وهذه الغاية نبغها اذا كانت مصر مركزاً للثقافة الحديثة تخرج منها المؤلفات ويجمع العالم العربي معجماً للالفاظ المفيدة في العلوم والآداب يكون دستوراً للادباء كما أن الموسوعة تكون أساساً جديداً لهضنه تقوم على الابتكار والاختراع .

هزيمة الأدب السخيف

« نهضنا نهضة أدبية بينا المدنية الحديثة عليّة خالصة . فنحن نعيش في واد والغريون في واد آخر لأننا لأنابه إلا للأدب ونهمل العلوم إهمالا فاعنجا حتى أدى ذلك الى تقهقرنا وانحطاطنا . فان كل شىء يقوم الآن على قواعد العلم حتى الأدب لا يمكنه أن يستقيم إلا إذا كان له أساس من العلم . وذلك علة تقهقرنا فى الآداب التى قصرنا عليها اهتمامنا . فان أدبنا الى الآن لا يطرقون الموضوعات الاجتماعية العلية فبدرسون حالة فلاحنا دراسة عليّة ويطلبون اصلاح حاله مثلا بل هم يؤلفون عن عصور الخلفاء واعجاز القرآن بينما نحن نجعل حقيقة الحركة العرابية مع أن التاريخ أصبح الآن علما بكل ما فى كلمة علم من معان . والأدب أصبح علما يقوم على أساس من العلوم الكونية والطبيعية وعلى المشاهدات المحسوسة لاعلى الأوهام والخرافات .

« وهام الآوريون يريدون أن يجعلوا من كل شىء علما ، فهذه الفلسفة ما تقدمت حديثا إلا حين انسلخت عن الآداب وأدخلت فى دائرة العلم لها ما لغيرها من العلوم من معامل وتجارب ومقارنات وبراهين . وهذا علم النفس صار من زمن بعيد علما له معامل كسائر

العلوم وبلغ من التقدم أنه صار أساس الأدب الحديث. فكل الروائيين والشعراء الآن علماء نفس بلا مبالغة بينما أدبنا ليس له أساس إلا علم الخرافات. فصارت الفلسفة علماً والأدب علماً. كذلك قل في السياسة والصحافة والتاريخ ولا تزال نحن هنا نعيش في القرن الثاني للهجرة، نفسر الألفاظ ونشد المراثي والمدائح بينما الأوربيون يقلبون ظهر الأرض باختراعاتهم واكتشافاتهم فهم يحاربون الأمراض ويعملون على تقريب اليوم الذي يصبح المرء فيه في مأمن منها بينما أدبنا الكلام الأجوف في كل شيء. نطالب به،

ولا تظن أيها القارىء أن ما قرأته هنا هو من قلبي وإن كنت قد اعتدت منى على مثل هذه اللهجة حتى السأم. ولكنها منقولة من كاتب يجب أن تحبه هو «حسن عارف»، ويجب أن تشجعه على المضى في هذه النزعة الشريفة التي يراد منها الخير لبلادنا. فنحن منكوبون حقاً بالأدب السخيف أدب الألفاظ واللعب واللغو ودرس السلف كأننا أمة بدوية تعيش في وسط الصحراء ولا تتصل بالحضارة الحديثة ولا يهتما الا قصة رويت قبل ألف سنة أو بيت شعر هو نكتة من نكات المغفلين.

وقد أثلجت صدرى هذه المقالة التي تدعونا الى هجران الأدب السخيف والنزوع الى العلم وقلبت الجريدة التي بها هذا المقال فرأيت

مقالا آخر عن المستر فورد خلاصته أنه ينوى أن يجدد مصانمه بحيث تخرج في اليوم - أجل في اليوم الواحد - ١٢٠٠٠ أتومبيل فكانت هذه المقالة الثانية برهانا على صدق المقالة الأولى وأكبر دليل على أن النزعة العلمية هي التي تعمل الرقى بينما النزعة الأدبية كما هي في بلادنا لا تعمل إلا للانحطاط .

قبل سنة أو أكثر مات رجل انجليزي يدعى الأستاذ بيور ألف كتاباً غريباً يبحث عن فكرة الرقى والتقدم كيف نشأت ومتى نشأت . فانك إذا استقرت أحوال الأمم القديمة لا تجد لهذه الفكرة أثراً إذ هي حديثة جداً قد لا يزيد عمرها على مائتي سنة . والذي يبدو للباحث أن هذه الفكرة الشريفة التي تجعل الإنسان ينزع إلى تحسين نفسه وبلدته ووطنه لم تنشأ إلا من المخترعات العلمية . فان الانسان ابن العادة وهو قد رأى التبديل والتحسين في الآلات فنزع به ذلك إلى التفكير في التبديل والتحسين في المؤسسات العدرانية . فالعلم هو أساس فكرة التقدم والاصلاح أما الأدب فما كان له هذا الفضل قط . ولهذا السبب أصبح أدباء أوروبا علماء بل منهم من لا تعرف هل تسمه بالعلم أم الأدب . مثل ما يترانك مثلاً فانه يؤلف كتاباً عن الارضة أو النحل وكيف تعيش وبعد ذلك يؤلف درامة عن المسيح .

الإيمان بالإنسان

لما أوشكت الثورة الفرنسية أن تقع وانشق الناس فريقين فريق كبير هو الأمة كلها تقريباً وفريق صغير هو الملك والنبلاء ، كان بين هؤلاء النبلاء رجل يدعى المركيز دو كندورسيه وكان مع أنه نبيل نشأ في بيت له تلميد في النسب والحسب قد انضم إلى الشعب فأخذ يعاون رجال الموسوعة في نشر الأفكار الحرة ويعمل على تقويض الطبقة التي ينتسب هو إليها وصار ينفق ماله وجاهه وعلمه لكي ينبه الشعب إلى الثورة .

وجاءت الثورة فاختلف فيها الجنون بالعقل وقام الناس على النبلاء يقتلونهم وينهبون أموالهم وكان الموكيز دو كوندورسيه من هؤلاء النبلاء له شارتهم وعليه سياؤهم فكان على الرغم من حبه للشعب وسعيه لانقاذه من الجهل والظلم معدوداً بينهم . فقتله الثائرون ونهبوا أمواله .

والآن قد تظن أيها القارىء أن هذا الرجل قد مات يائساً من تقدم الشعب ورقبه إذ أعطاه صحته وذكاءه وماله ولم يأخذ عوض ذلك شيئاً ثم قتل على يديه ، ولكن الواقع أنه عاش ومات مرتاح البال يؤنس رجاء عظيم هو رجاء التقدم المطرد للنوع البشرى . فقد كتب قبل وفاته يقول :

« ولم تضع الطبيعة حدوداً لآمالنا وحسبنا أن تتخيل تقدم النوع
البشرى بعد انطلاقه من السلاسل وهو يسير بقدم ثابتة على طريق
الحق والفضيلة والسعادة فنجد من هذا المنظر ما يعزى الفيلسوف
عن الأخطاء والجرائم والمظالم التي لا تزال تدنس وجه الأرض
وتنزل بها المصائب .. »

يمثل هذه العقيدة مات المرکز كما يموت الشهيد من أجل عقيدته
الدينية بفرق واحد بينهما هو أن الأول يريد الجنة في هذا العالم
ويعمل لتحقيقها والثاني ينتظرها في عالم آخر بعد الوفاة .

وليس شيء يخفف عنا آلامنا ويزكي في أعيننا تلك الكوارث
العديدة الحافل بها تاريخ الأمم سوى هذا الإيمان بأن العالم يتخلص
بالتدريج من الأوهام والمظالم فيخرج من الإيمان بالأساطير إلى
الإيمان بالعلم ومن الإستبداد إلى الدستور ومن المرض إلى الصحة
ومن الضعف إلى القوة .

ثم مثال هذا النبيل الفرنسي يخفف عنا أيضاً ما نجده في أيامنا من
قوى تعمل للشر وتهاض ما فينا من خير وبر . فان صيحة الإصلاح
التي نصبح بها على ما فيها الآن من ضعف ووهن ستفوز في النهاية
لأن الرقى طبيعة البشر التي لا يحيد عنها . وليس البرهان على ذلك
بعيداً عن الإثبات أو مستعصياً على الأفهام . فان نظرية التطور

نفسها هي نظرية الرقى ولذلك أطلق عليها اسم « نظرية النشوء والارتقاء » ، عندما نقلت إلى لغتنا . فاذا كان تاريخ ألف مليون من السنين يدل على الرقى في الماضي فمن التعسف أن نحسب أنه انتهى وانقطع بوجودنا . فان عناصر هذا الرقى كامنة في كل منا .

فالرقى كامن في نفوسنا ينطق به تاريخنا الماضي وهذا هو ما يؤنس قلوبنا ويجعلنا نرضى بالتضحيات كلما سمعنا عن الاستبداد يبطش بالدستور، أو الظلم يجور على الحق، أو البغض ينتصر على الحب، أو الإثارة تفوز على الإيثار . وسنرى هذا الوطن كما نرى غيره من أوطان العالم حراً تعيش فيه الأمم حرائر متعلبات ويعيش فيه الرجال علماء أيقاظاً يدرسون هذا العالم ويتمتعون به ويقصرون همومهم على إسعاده . ولولا هذا الإيمان بأن العالم يرتقى لما كان لحياتنا معنى أو مبرر للبقاء . وفي هذا الإيمان قوة تواتينا على الخير والبر . ثم في ذلك كله شعور بالسعادة لأننا تؤدي عملاً يرتاح إليه ضميرنا ويتفق وما في صميم نفوسنا من نزعات ، وهذا بخلاف ما إذا عملنا للشر وناهضنا التقدم ، فإننا نشعر بأننا نكافح في نفوسنا نوازع الرقى فيأخذ اليأس مكان الرجاء ونقيم حياتنا على مضمض وعنت .

فكلنا يجب أن يكون هذا المركب دو كوندورسيه
يعمل لرقى الشعب ويؤمن بهذا الرقى حقيقة لاشك فيها،
أول ما نرى برهانه في أنفسنا إذ لا يمكننا أن نفكر في
ترقية الناس ما لم نرتق نحن أولاً، ولا عبرة بعد ذلك بالعوائق
فإن النهر العظيم قد ينحرف بعض الانحراف في مجراه ولكنه
بالغ مصبه بعد ذلك .



في الحب

يقص الانجليز قصة يستخرجون منها عبرة الحب . هي أن أحدهم خرج في يوم قد كشف ضبابه . والأشباح تتجسم في الضباب حتى يهول منظرها على بعد . فرأى وهو سائر في طريقه شبحاً كبيراً مخيفاً فارتاع منه . فلما اقترب منه قليلاً تبين له أنه رجل . فلما واجهه عرف أنه أخوه . وهكذا نحن في هذه الدنيا نحسب الناس غرباء فنخشاهم وتتوجس منهم ولكن الواقع أننا نحن وهم إخوان بل إخوة قد اتصلت دماؤنا بدمائهم . فإذا حسب المصري مثلاً وأحصى مقدار ما دخله من دماء الأمم الأجنبية في نحو أربعين قرناً مضت لوجد أنه خليط من الدم الروماني والعربي والانجليزي والفرنسي والسوري والصيني والتركي .

فنحن لسنا أبناء مصر فقط بل أبناء هذه الدنيا . وإذا كانت مصر وطننا الأصغر فالعالم هو وطننا الأكبر . ويجب لذلك أن يكون الحب والتعاون وسيلة التعارف والمعاملة بيننا وبين الناس سواء أكانوا مصريين أم غير مصريين . وبهذه المناسبة نذكر كلمة للشاعر الانجليزي المعروف بنقام حيث يقول : « إن سبيل الراحة لنا هو أن نعمل لراحة الآخرين . وسبيل الراحة للآخرين إنما يكون بأن نبدو لهم كأننا نحبههم . وإنما نبدو لهم أننا نحبههم إذا أحببناهم بالفعل » .

وهذا كلام صريح وحقيقة تتضح لكل من اختير من الناس .
فاننا لا يمكننا أن نرتاح إلى الدنيا والناس ما لم تكن علاقتنا بهم
علاقة الحب . وراحتنا لا تقوم إلا براحتهم .

ولكن الوحش القديم لا يزال للأسف حياً في الإنسان فما
زلنا في التنازع بدلا من أن نفكر في التعاون ولا يزال التنازع للآن
خطة التعامل الرسمية بين الدول . وأفظع ضروب هذا التنازع هو
الحرب : ولكن العالم كله يسير من التباغض الى التحاب ومن التنازع
الى التعاون وينهزم الوحش في الانسان رويداً رويداً . ففي العالم
الآن محاكم تقف أمامها الدول وفي كل أمة متدينة جمعيات تتعاون
على البر وتنشر العلم والصحة وترفع الكرامة الانسانية .

ولا عبرة بعد ذلك بأن تبقى في عصرنا أشياء من متخلفات الماضي
كالاستعمار والسجون والرق الاقتصادي فان كل هذا سيزول لأن
الحب سيتغلب على البغض .

وسنرى أو يرى أولادنا يوماً ما ، استحالة السجون الى مدارس
ومستشفيات وارتقاء العامل الى حيث يملك كل ثمرات عمله بدون
أن يكون فوقه واحد يعيش من كده ولا يعمل شيئاً لفائدة الناس .
ولكن الحب للأفراد فيما بينهم ليس في ذاته صدقة يتصدق
بها الواحد على الآخر بل خطة تعود بالراحة والسعادة على من
يمارسه ، فهو يستحق الثمن الذي ندفعه بما نكلف أنفسنا من معاونة
الناس وإبداء الحب لهم ، بخدمتهم الخدمة الزهية التي تدل على أن
ما نظهره لهم هو طبق ما نبطنه .

عندما تزيد حياتنا حيوية

هناك أوقات نحس فيها باليأس من العدل أو لسعادة، أو بتفاهة العيش وحقارة الهدف ، أو بفقد الايمان من الوجود ، أو بالاقتناع بأن طبيعة الانسان سيئة وأن الشر أصيل في دنيانا .

في مثل هذه الأحوال نحس بنحمود العقل وجمود النفس . وفي مثل هذه الأحوال تغشانا الأفكار السوداء ، العدم خير من الوجود والموت خير من الحياة ، وليست هناك منفعة من مكافحة الظلم ، أو الدعوة إلى النور ، لأن النهاية لكل شيء هي الفناء .

وحياتنا عندئذ تحيا على الحد الأدنى من مستواها .

هي عندئذ حياة تنقصها الحيوية : حياة راكدة مستسلمة .

ولكن هناك أوقاتاً أخرى حين نحيا على المستوى العالى . فتزيد

حيويتنا .

أذكر ذلك اليوم السعيد في حياتنا حين سمعنا عن خلع فاروق وطرده من وطننا . فأننا لم نكن نحيا في يوم ٢٦ يولية فقط . لأن حياتنا كبرت عندئذ وامتدت إلى ١٦٠ سنة منذ استولى الدخاخي ، محمد علي ، على بلادنا بالقدر والمكر إلى يوم أقلعت الباخرة بفاروق من الاسكندرية .

في هذا اليوم زادت حياتنا حيوية . وزاد وجداننا بتاريخنا .
وصار الطعام أسوخ والماء أمراً على ألسنتنا . وأحسنا كأن حياتنا
التي كانت نثراً متواضعاً قد صارت قصيدة عالية . وكان درجة
الحرارة فيها قد زادت .

ولكل منا أيامه ، هذه الأيام السعيدة ، التي يزيد فيها إحساسه
العالي أو وجدانه العميق .

لقد عرفت أن الاحساس ، مثل العقل ، يمكن أن يكون بليداً
أو ذكياً . وإني لأذكر هذا الاحساس الذكي في رجل ، ما زلت
أجهله ، كان معي في ١٩٤٦ في محبس قسم الألبانية أنتظر التحقيق
في تهمة قلب نظام الحكم . وكنت قد دخلت المرحاض وخرجت
منه وإذا بجذاتي قد غمس في القدر ، ورآني هذا الذي أجهله مربوكاً
مخبولاً . فتسلل من خلقي وأخذ الحذاء وغسله وورده إلى مكانه .

وعندما اكتشفت هذه الشهامة العجيبة . شرعت أبحث عنه ،
فعرفت أنه خرج قبل دقائق من المحبس .

وعندما أذكر هذه الحادثة ينتابني إحساس الحب الرهيب لهؤلاء
الملايين من أمثاله الذين تمتلئ نفوسهم بالذكاء . وعندئذ يزيد
وجداني . أي أني أزداد وجوداً في هذه الدنيا فأتعقل أكثر . وأحس
أكثر . ويخزني ضميري إلى اليقظة كأنني كنت نائماً فصحوت .
وكان حياتي كانت خامدة فاتبتهت .

أليست هناك لحظات وأوقات تتأكد فيها حياتنا فنزداد حيوية؟
أليست هناك لحظات وأوقات نعرف فيها أن الطبيعة أصيلة
في الطبيعة؟

أليس هناك كوب الماء بعد العطش والشؤبوب البارد في
أيام الصيف ...

قد تقول أن هذه أشياء صغيرة لا تزيد على لذة الجسم .
وهذا صحيح . ولكن من منا لا يبتئس ويغتم إذا حرما
ولو لوقت قصير؟

والبؤس والغم هما نقص في حيوية حياتنا ، كما أن الفرح والبهجة
هما زيادة في الحيوية . ومع ذلك ليس هناك شك في أن لذات
العقل والنفس تعلو على لذات الجسم وشهواته .

لما زاد الفيضان هذا العام قصدت إلى روض الفرج في الصباح
وقعدت أتأمل النيل في سعته وأفكر في تاريخه الجيولوجي وتدفقه
من بحيرة فكتوريا إلى مكاني ، من علو أربعة آلاف متر .
وأحسست عندئذ أني قد زدت وجوداً . وابتعدت حدودي
واتسعت أفاقى .

أن هذه المياه قد آنست التماسيح وأفراس النهر والكركدن
وهي تحمل إلينا تراب أثيوبيا . ثم تنساح فوق أرضنا وتعمم الخير .
وفي مثل هذا التأمل والتفكير أحس اغتباطا وانشراحا وأذكر

قول رامبو : « العالم طيب .. أنى أبارك على الحياة ، .

أجل . أن فى هذا العالم من المشاهد والأحداث والأشخاص
ما يكاد يجعل البليد ذكياً ويوقظ النائم ويجعلنا « أوجد ، مما كناه
أى أكثر وجوداً .

أنظر إلى أم ترضع طفلها . هل هناك أروع فى الجمال وأحب
إلى القلب من هذا المشهد الذى تبلور فيه الحياة بكل ما تحمل من
حب وشرف ومسئولية وتضحية ؟ ألسنا نحس الطيبة والإنسانية
عندما نرى الأم الحانية على طفلها ؟

وقفت من مدة قريبة إلى نخلة أنامل جمالها وأتحدث إليها وهى
منتصبة مكحلة بالسعف قد تهدلت منها شماريخ البلح . وقد برزت
على سيقانها عراجين غليظة شظفة كأنها أقدام الفلاحين التى تشقت
بكد الفلاحة . أليس كلاهما يعمل لخدمتنا وتغذيتنا ؟

ودرت حول هذه النخلة كى أملاً نفسى من جمالها . ولشد
ما تأملت عندما وجدت سعفة منها متدلية مكسورة .

كانت بيتاً من الشعر مكسوراً ...

وكثير من المواقف يجيلنى ، على الرغم منى ، إلى شاعر فيلسوف .
فى النهار يغمرنى ضوء الشمس وتشغلى المدينة باهتمامات مدنية
وتبسط لى الصحيفة أخبار الساسة الصغار والكبار . ولكنى فى
الليل عندما يعم الظلام أجدنى أتأمل السماء فأرى النجوم

والكواكب . فيزداد وجودى وتتسع حدودى .
وعندئذ أنا ، أوجد ، مما كنت فى النهار .
وهذا هو احساسى أيضاً عندما أبكر فى الفجر واخترق هذا
الكون من خلال الظلام الأبيض الذى يسبق الشمس .
قبل سنتين وقفت أمام الدينصور متحف فى باريس . فأحسست
أنى فيلسوف وجعلت أدور حوله . وهذا الدينصور هو زاحفة
تعلو على الفيل جرماً وقد انقرضت منذ مائة مليون سنة . وهانذا
لا أبلغ فى الجرم أصغر عظمة من عظامه أمتاز عليه بهذا العقل
الفلسفى الذى أخرج هيكله من الطين والتراب والصخر وجعله
منظراً لأبناء القرن العشرين يتعلمون من تاريخه ويفطنون منه إلى
معانى التطور والارتقاء .



كهنه من طراز جديد

عندما أفكر في القيم الاجتماعية العصرية للكلمات المحورية التي يسترشد بها المجتمع الأوربي أو في مجتمعنا في معاني الفضيلة والصلاح والشرف أجد أنها ليست من كلمات الأديان إذ لم ترد قط في كتاب ديني. وإنما وردت في كتب الأدباء أو الفلاسفة الذين فكروا في ارتقاء البشر في أوساط جديدة تطلبت إحساسات جديدة.

اعتبر كلمة المروءة أجمل كلمة في اللغة العربية ، فانها مع ما تحمل من المعاني البشرية السامية لم ترد قط في أحد الكتب المقدسة ، وإنما هي من وضع الأدباء . بل ماذا أقول ؟ أنها من وضع العامة وهي تروح وتغدو على ألسنة الفلاحين والعمال فتسمو بهم إلى مراتب من الفهم والبر ما كانوا ليصلوا إليها لولاها .

أو أعتبر كلمات الحرية والأخاء والمساواة . فاني لم أجد واحدة من هذه الكلمات الاجتماعية قد وردت في الكتب المقدسة وإنما هي من مخترعات الأدباء الفرنسيين .

أو اعتبر كلمة الشرف التي لم تذكر في الكتب المقدسة .

أو أعتبر هذه الكلمات التي يحيى بها مجتمعنا ، نظاما وفكراً ، وهي : العائلة ، والمجتمع ، والتطور ، والديمقراطية ، والاشتراكية ،

كلمات ملهمة مليئة بالمعاني التي تزيد الفهم وتنظم الفكر ، أليست جميعها من مبتكرات الأدباء والفلاسفة ؟ .

ولم يذكر الضمير ولم يذكر الوجدان في الكتب المقدسة ؟
لقد عرف العالم المتمدن كتاباً أحبوا الانسان وانغطت قلوبهم
وتحدثوا فيما بينهم وخطبوا وكتبوا عن الحرية والحب والمستقبل ،
فكانوا كهنة من طراز جديد يضيئون المصابيح ويخططون السعادة
والشرف .

وإني لأعرف من هؤلاء الكهنة في عصرنا أندريه جيد ،
ومارسيل بروست ، وبول سارتر ، وجرناردشو . ولكني أعرف
أيضاً صرخات فولتير ، وأشعار بيرون وسطوات الأفكار الحرة
على التقاليد من داروين وفرويد ونيتشه .

أعرف هذه الأسماء ، أسماء القديسين الجدد ، وأحس أنها
لا تزال تكافح من أجل الشرف والفهم والإنسانية .

ولذلك يجب أن يتسع معنى الدين عندنا ويدخل فيه الأدباء
والفلاسفة ويكونوا من قديسيه .

وهؤلاء الأدباء والفلاسفة الذين أعطونا المعاني ورسموا لنا
الأهداف الجديدة لم ينقضوا الفضائل القديمة التي دعت إليها الأديان
ولكنهم أكملوها . إذ هم عاشوا في عصر آخر يحتاج إلى فضائل
أخرى .

أحسوا التطور في المجتمع فدعوا إلى تطور في الفضائل .
والقيم . ولما رأوا أن القيم الدينية إلى ورثناها قبل ألفي سنة هي
قيم أخروية تدعو إلى صلاح الفرد بالصوم والصلاة والنسليم بالعقائد
ونشدانه الخلاص الشخصي عمدوا إلى إيجاد قيم أخرى دنيوية
اجتماعية غايتها تكوين المجتمع الصالح . ومن هنا هذه الكلمات
الاجتماعية الجديدة التي ذكرناها والتي لم ترد قط في كتاب مقدس .
فإنها اجتماعية إنسانية من حيث أنه يراد بها خدمة المجتمع وترقية
البشر في عصر جديد غير العصور القديمة التي نشأت فيها الأديان .
لقد احتاجت العصور القديمة إلى الإحسان والبر بالفقراء .
ولكن عصرنا قد استحدث ، على أفلام الأدباء والفلاسفة ، قبا
جديدة تستنكر الإحسان والبر وتقول بالديمقراطية التي تجعل
الفقراء أغنياء بما تقرر لهم من حق العمل . وعلى هذا الأساس
نحن نعاقب في مصر من يمد يده للسؤال وإن لم نكن قد استكملنا
بعد النظم الديمقراطية والضمانات الاجتماعية التي تغني عنه .
إنهم ، هؤلاء الأدباء والفلاسفة ، يمارسون القصص والشعر .
وهم ينشدون القداسة في المجتمع ، في كل فرد ، وليس في معبد ،
وليس لشخص مفرد ، وليس لأمة مفردة .



اربطوا شبابنا بالحب

قرأت في الشهرين الماضيين كتابين لعظيمين من عظماء الأدب في أوروبا، أحدهما لمكسيم جوركي . والآخر لجان جاك روسو . وكلاهما اعترافات .

نشأ مكسيم جوركي في بيئة عائلية تكفي لتخريج ألف مجرم . فقد مات أبوه وهو طفل . وعرف بدلا منه جدا كان غاية في الخسة إذ كان يستجدي وهو ليس في حاجة إلى ذلك . وكان ينصب ويغش . وكان يقسو على زوجته وعلى غيرها . وعرف أعماما كانوا وحوشأ . ثم تشرد بعد ذلك . وبلع ريق الجوع أياما وشهوراً . وعان التبدل الإنساني في جميع مساوئه .

ولكن شيئاً واحداً كان يسنده في كل هذه الحياة التي كان يعانها ولا يحياها . هو هذه الجدة التي ربه على الحنان والرفقة والذوق والشرف .

وهو يذكر أنه ، وهو بعد صبي ، كان يستمع إليها وهي تقص عليه قصص القديسين . وكانت مؤمنة تسلم بكثير من الخرافات . فكان مما قالت أن جثمان القديس في القبر لا يبلى بل يبقى سليماً مهما توالى عليه السنون .

فقال لها من فورہ : « وهل يبقى جثمانك يا جدتي سليماً في القبر
لايلى ٩ ، .

وضحكت الجدة . وسعد الطفل . وبقى يذكر هذه القصة إلى أن
تجاوز السبعين من العمر . ذكرى الحب والحنان والرفقة التي كان
يجدها في جدته ، هذه الجدة التي كانت تتسول لفقرها كي تطعم
حفيدها .

لقد ارتبط مكسيم جوركي بالإنسانية . وصار رجلاً طيباً لأنه
عرف جدة طيبة . وصار بعد ذلك يختلط بالمجتمع ويوليه
الاحساسات الجميلة التي كان يوليا جدته . فأحب المجتمع .

وكذلك الشأن في جان جاك روسو . فقد نشأ في إهمال وإن لم
يجد قسوة وقشرد وعمل خادماً . وأوشك على السقوط حتى ساوم
على مذهبه الديني وباءه كي يعيش . ولكنه عرف امرأة طيبة أحبته
بكل ما فيها من عقل وقلب . وكانت جميلة . فبقى طيلة حياته يسعد
بالجمال ، جمال المرأة ، وجمال الطبيعة في الزهر والشفق ، وجمال
الأخلاق في المروءة والشرف وجمال الحب .

لقد ارتبط كل من جوركي وروسو بالمجتمع لأن الحب دخل
في قلوبهما في الصبا والشباب . وبقى هذا الرباط يشدهما إلى هذه
الدنيا . فأحبا الناس ونشد كل منهما في الإنسان رفعة وشرفاً ومروءة .
ولقد وقع لكل منهما من الظروف ما عزله عن المجتمع . ولذلك

تشرّد كلاهما . فرحل روسو شريداً ، وأحياناً طريداً ، من سويسرا إلى فرنسا إلى إنجلترا .

ورحل جوركي شريداً ، وطريداً أيضاً ، إلى نحو عشرين قطراً في أوروبا وأمريكا .

ولكن هذه العزلة لم تنته بواحد منهما إلى الإجرام أو الجنون . وإنما انتهت بمؤلفات يغمرها الحب كما تلهج معانيها بالمرودة وتلفظ موضوعاتها بالشرف .

ما الذى ينقص شبابتنا ؟

ما الذى يهوى بهم إلى الجنون أو يحملهم على الإجرام أو الانتحار؟ إن الشاب الذى يرتبط بالدنيا بهموم الحب أو اهتمامات الذهن لا يمكن أن يفكر فى جريمة ولا يمكن أن يلجأ إلى الجنون أو الانتحار . وثق أيها القارىء . أننا حين نجن إنما نلجأ إلى الجنون لأننا نجد فيه ميناء السلام كما لو كنا غرقى نبحث عما ينقلنا من خطر الأعماق وهوج الأمواج .

إن الذى يحمل شبابتنا على ذلك هو أنهم لم يجدوا جدة طيبة . ولم يختبروا سعادة الحب . ولم يسعدوا باهتمامات بشرية سامية ، ولم يمارسوا كفاحاً من أجل الخير والمرودة .

أى لم يحبوا .

وحياتنا تعود رخيصة تافهة حين لا نحب ولا نهتم . أى حين
لا نحب المرأة ، أما كانت أم زوجة ، ولا نحب المجد ولا نبالي
الوطن ولا نكافح الاستعمار ولا نصطدم بالاستبداد .
اجعلوا حياة الشباب فى مصر غالية . وافسحوا لهم ميادين الحب
البشرى حتى يرتبطوا بالمجتمع . لأن الشاب الذى لا يجد فى المجتمع
ما يحبه أو يرتبط به هو الشاب المجرم الذى لا يبالي أن يقتل إنساناً
من أجل مائة جنيه أو ألف جنيه .
هو شاب رخيص يجد الدنيا رخيصة فلا يبالي أن يتركها بجرعة
أو جنون أو اتحار .
اجعلوا هذا الشاب غالباً ثميناً له ما يجب وما يرتبط به فى
مجتمعنا . ويجب أن يكون الموضوع الأول لحبه هو المرأة .

ثلاث تهم توجه إلى سقراط

كان سقراط فيلسوفا يعيش في أثينا قبل نحو ٢٤٠٠ سنة . وكان ، مثل جميع الفلاسفة المنكرين ، يقاتل الأثينيين لأنه كان يدعو إلى سيادة العقل على العقيدة . وقد قدم للمحاكمة ووجهت إليه هذه التهم الثلاث التالية :

الأولى : أنه ينكر وجود الآلهة

والثانية : أنه قد اخترع آلهة أخرى

والثالثة : أنه قد أفسد الشبان

وعندما تأمل هذه التهم الثلاث نجد أنها مترابطة بحيث تعد تهمة واحدة لأن سقراط عندما أنكر آلهة الأغريق اضطر بالطبع إلى أن يعين غيرها يقوم مقامها . وهو في هذا الكفر كان يفسد الشبان الذين يؤمنون بإيمانه الجديد .

والواقع أنه كانت هناك تهمة أصيلة عميقة توجه إلى سقراط هي أنه كان يقول بأنه يجب أن نحيا وفقاً لمنطق العقل بما نجمعه من اختبارات ومعارف . ولا تؤمن بما توارثناه من أقوال الآلهة .

لقد وضع المعارف فوق العقائد . وكان في هذا أعظم الخطر

على نفسه . وأعظم الألم لأفراد الشعب الذين كانوا يعتقدون ويرتاحون إلى عقائدهم دون أن يتكبدوا عناء التعلم والبحث عن المعارف .

ذلك لأن العقيدة الموروثة تحدث عاطفة من السرور أو الألم أو الخوف أو الاشمزاز أو البغض أو الحب . فاذا صدمت أحدا في عقيدته . فأنت في الواقع تصدمه في عاطفته وتؤلمه .

ومن هنا كراهة الشعب لسقراط ، إذ هو كان يجرح الناس في عقائدهم أي عواطفهم .

هل يمكن أن نحيا بالعقل وحده وبما نجمعه من معارف ترتبها ونستخلص منها منطقا ومبادئ . وأسلوبا للعيش ؟

لقد عرف سقراط أن الذي يحاكم ويدان ليس سقراط فقط بل هو العقل أيضا . ولذلك وقف يدافع في المحكمة عن العقل ، ويقول أننا نستطيع أن نحيا بالعقل وحده .

وحين نقرأ أفلاطون في عرض هذه المحاكمة ، نجد كلمات تردد . هي : يجب أن نمتحن عيشنا . يجب أن نجمع المعارف . غاية المعارف للإنسان هي أن يحيا الحياة الطيبة . وأن ما يمتحن الحياة وما يجمع المعارف هو العقل . ولذلك يجب أن يكون للعقل السيادة في جميع تصرفاتنا .

كان سقراط يحاكم أمام محلفين يبلغ عددهم خمسمائة من
الأتينيين . وكان هؤلاء يستمعون إليه كما لو كانوا يستمعون إلى
محاضرة أستاذ . وكان هو يحس أنه في هذا المقام ، وأنه أيضا يجب
أن يعين لهم المبادئ . والأهداف في حياته وأقواله .

وكان هؤلاء الخمسمائة يعرفونه . وكان « البلاغ » الذي قدم ضده
يحتوي ، كما قلنا ، ثلاثتهم ، الكفر بالآلهة واختراع آلهة جديدة
وإفساد الشبان . وكان مقدموه ثلاثة أحدهم دباغ . والثاني شاعر .
والثالث خطيب .

وقد نقل إلينا أفلاطون الكثير من دفاعه عن أقواله وعن
أسلوب حياته . وكان مما جاء فيه قوله :

« إن الله أمرني بأن أؤدي رسالة الفيلسوف فأنقب عن سريرتي
وعن سرائر الآخرين ، .

وتوجه إليه التهمة الأولى بأنه ملحد .

فيجيب بأن سيرة حياته كانت سيرة المختار بالقوة الإلهية ،
وأن الله قد كلفه أن يستقصى في سؤال أولئك الراضين عن أنفسهم
من الكبار وأيضا أولئك المرتبكين من الشباب . وأنه لن يكف عن
هذا الاستقصاء حتى ولو أفرج عنه . لأن الله قد اختار له أن يكون
الذبابة التي تلسع الجواد وتقلقه فلا ينام . وهو نفسه هذه الذبابة

إذ يفتأ يعلق الدولة الآتينية . ثم يروى عنه أفلاطون قوله
للحلفين .

« إذا أمرتم بقتلى فإنه لن يكون في ميسوركم أن تجدوا من
يخلفنى ، لانى ، كما قلت لكم ذباية الصقنى الله بجسم الدولة . وهذه
الدولة ، هى جواد أصيل ، ولكنه بليد بسبب ضخامته ، ويحتاج
لذلك إلى ما ينخسه حتى ينهض ويحيا ، وأنا هذه الذباية لا أفأ
أنبهم وأغريكم وأعنفكم . »

وفى نهاية دفاعه يرجو المحلفين أن يعنوا بتربية أبنائه كما كان يعنى
هو بتربية الآتنيين . بل أنه لينصح لهم بأن يعاقبهم ويقول :
« إنى لأطلب منكم أيها الأصدقاء أن تعاقبوا أبنائى وأن تعلقوهم .
كما أفلقتكم أنا . إذا كانوا يعنون بالثراء أو بأى شىء آخر أكثر مما
يعنون بالفضيلة ، أو إذا كانوا يزعمون أن لهم قيمة حين لا تكون
لهم قيمة .. لقد أنت ساعة الفراق بينى وبينكم . كل منا إلى طريقه .
أنا للوت وأتم للحياة . والله وحده هو الذى يعلم أى الطريقين
أفضل ، . »

ما هى عبرة هذه الحياة ، بل ما هى عبرة هذه القيم الخالدة التى
أعدم من أجلها سقراط ؟ .

ما هى عبرتها فى مجتمعنا وحكومتنا ومعيشتنا وشخصية كل
فرد منا ؟ .

هى أن نعتد على المعارف فى حياتنا حتى تؤلف يوما ما
المجتمع العلمى ونحيا الحياة العلمية . لأن العلم معارف يجمعها العقل .
وهى أن نحترم حرية الضمير أى أن لكل منا الحق فى أن
يفكر كما يشاء ، وأن يتخذ أسلوب الحياة الذى يريد .

وهى أن نحترم حرية الرأى . ومعنى هذه الحرية أن ننشر هذا
الرأى ونعله للناس . إذا ما قيمة الرأى إذا حبسناه فى قلوبنا ؟ .
إن سقراط لم يقتل من أجل الأتانيين فقط . بل قتل من أجل
البشر جميعا .

أى من أجلنا نحن أيضا لأنه أصر على أن لنا الحق فى أن نحيا
وفق عقولنا وليس وفق تقاليدنا وعقائدنا الموروثة .



جو الحب

المصرى الغريب الذى يزور فرنسا لأول مرة يجد أن القبلة التى تعد فى بلادنا شيئاً خاصاً حميماً لا يجوز لعامة الناس أن يروه ، هذه القبلة هى شىء مألوف . وهى مع ذلك ليست قبلة الأبوة أو البنوة وإنما هى قبلة الغرام بين الشباب من الجنسين ، فإذا اتخذت ناحية فى القهوة رأيت شاباً وفتاة ذراع أولهما على عاتق الثانية وذراع الثانية حول خصر الأول ، وهما يحتسيان القهوة أو البيرة ، وبين فترة وأخرى تلتقى شفطاً كل منهما بشفتى الآخر فى قبلة حارة تدوم نحو دقيقة أو دقيقتين أو أكثر ، وليس فى المقهى واحد يسدد نظره إليهما فى استنكار .

وكذلك فى الشارع يقف اثنان شاب وفتاة ، ثم يطبع كل منهما على شفتى الآخر قبلة تدوم بضع دقائق . وجمهور المارة لا يلتفت إليهما ، وقد أخذت القبلة مكان المصافحة عند الشباب فى كثير من الظروف .

وجو الحب يغمر فرنسا وقد أصبحت القبلة ، رمز الحب ، من الشعائر الاجتماعية كما هى من العواطف البدائية . فلا يأوى أب إلى فراشه ، حتى يقبل أفراد العائلة ويقبلوه ، وعندما يغضب

الأب على ابنه ويرفض القبلة فإن هذا الرفض يعد أقصى عقوبة تنزل بالابن ، وقل من يفعل ذلك حتى بعد الغضب .

ومع أن الفرنسيين يكبرون من شأن المال ، ويدخرون كثيراً .. ويبالغون في الادخار إلى حد الشح ، فإنهم حين يتزوجون لا ينسون أن يجعلوا الحب أساس الزواج . فالحب في المحل الأول والمال في المحل الثاني ، وقد عرفت في إنجلترا فتيات حوالى الخامسة والعشرين يتزوجن رجالاً فوق الأربعين ولكن لم أجد مثل هذا الزواج في فرنسا التي تؤمن بالحب .

وليس في فرنسا كلها مقهى يموده هذا الجو المتزمت الذى نسميه الوقار ، فأينما دخلت إحدى المقاهى وأينما قعدت ألفت عن يمينك أو يسارك أو كليهما ، شباباً وفتيات فى حمى الحب ، ويزيد هذه الحمى حرارة كؤوس من النبيذ المخفف أو الخمر المركزة ، وجميع القهوةات فى فرنسا تبيع الخمر كما تبيع اللبن أيضاً .

ويبدو لى كأن المجتمع الفرنسى يشجع شبابه على الحب ، ويجد فى هذا التشجيع ما يسدد الشبان نحو الاستقامة الجنسية أى الحياة الجنسية السوية . فان الشاب الذى يلتقى بحبيبته كل يوم ، ويجد فى عناقها وقبلاتها على القهوة أو فى الشارع ما يشبع بعض غريزته ، هذا الشاب لا يمكن أن يقع فى شذوذ جنسى - لأن الصورة التى ملأت خياله هى صورة المرأة . وكذلك الشأن فى الفتاة . ومن هنا

أيضاً شيوع الرقص في كل مكان ، فإنه أيضاً يؤدي هذه المهمة مهمة التوجيه السليم للغريزة الجنسية .

أنا نحن في مصر ، حين تحرم الشبان الاختلاط بالفتيات ، وحين نحرم الرقص أو نصمه بوصمة النبتك ، إنما نوجه الغريزة الجنسية نحو أهداف أخرى ، هي أهداف شاذة ، غير الوجهة التي خلقت لها لأن الهدف الطبيعي للشباب هو الفتاة وهدف الفتاة هو الشاب . والفصل بينهما هو توجيه لكل منهما إلى الشذوذ .

لقد ذكر جوليان هكسلي حادثاً عجيباً هو أنه كان واقفاً أمام إحدى إناث الطير وكانت هذه الأنثى في حرارة الاغتلام فلما لم تجد الذكر من نوعها من الطير جعلت تزيف وتتبختر له أي لجوليان هكسلي كأنه قد قام عندها مقام الذكر . وربما أكون هنا قد نسيت وجعلت الأنثى مكان الذكر . ولكن العبرة واضحة وهي أن الغريزة الجنسية إذا لم تجد هدفها السوي رضيت بالهدف الزائف ، الشاذ ،

ولذلك يقل الانحراف الجنسي في أوروبا حيث يختلط الجنسان وحيث تبقى الغريزة سليمة ، أما في أمم الشرق فإن هذه الغريزة تعرف كثيراً بحيث يجب الذكر الذكر والأنثى الأنثى .

بل لقد ارتفع هذا الانحراف إلى مقام الأدب فصارت له أبيات من الشعر لا يشمئز بعض أدبائنا من إطرائها والتنويه بمعانيها .

وشباب أوروبا ، من الجنسين ، سعيد بهذا الاختلاط ولست أعنى بهذا أن العادة السرية والشذوذ مجهولان في أوروبا ولكن أعنى أنهما دون ما نعرف في أمم الشرق بسبب الانفصال بين الجنسين فإن لكل حالة شاذة في أوروبا نجد نحو مائة حالة في هذه الأمم الشرقية بل أكثر .

واقعد داعب كل من أندريه جيد وبول سارتر في فرنسا الشهوة الشاذة ولقى كلاهما الاستنكار . كما أن أوسكار وايلد مارسها وعوقب بالحبس سنتين مع أن ضحيته كان راشداً . ولو أن جريمة أوسكار وايلد هذه كانت قد وقعت في مصر لما كان قد عوقب عليها . ولكن القانون الانجليزي يعاقب على ارتكاب هذه الجريمة حتى ولو وقعت بين راشدين .

أما في مصر فإننا نشترى ديوان ابن الرومي وأبي نواس ونقرأ فيها أكثر من مائة صفحة في وصف هذا القدر ولا نبالي . ولا تبالي الحكومة . مع أن لها دبوليس آداب ، يلتقي القبض على شاب وفتاة إذا وجدا متلبسين بالقبلة .

فلنعلم شبابنا الحب

أن حياتنا الزوجية الشرقية قد جعلت كثيراً من رموز الحب أشياء مقفلة أو محرمة . وأنا أبعد الناس عن أن أستبيح أو ارتخص هذا الحياء الجميل الذي يجب أن يسود الحياة الجنسية إذ هو يزيدنا رقة وحناناً وجمالاً ولكن هذا التزمت الذي بعثنا على إيجاد بوليس للتفتيش على القبله ، هذا التزمت يجب أن يزول ويجب أن ينمحي ويجب أن نعلم شبابنا كيف يحبون على أساليب المتمدنين .

أنا نعلم صبياننا كيف يأكلون في غير التهام وكيف يعضون في غير تشدق وكيف يشربون في غير اصطفاق ، وصرنا نأكل علناً . في غير حياء مع أن الفلاحين لا يزالون يستحيون من الأكل علناً وكذلك يجب أن نعلم شبابنا كيف يحبون في رقة ولطف ، يقبلون في جمال وظرف ، بحيث لا ينجلون من ممارسة التقييل أمام جمهور الشعب ، وفي هذا تمرين لهم على أن يحب الشاب الفتاة كما تحب الفتاة الشاب بلا شذود .

والعجب أننا في مصر نؤلف القصص الغرامية ونقرأها وكلها قبلات وعناق وحب وغرام ثم يثب الكتاب الذين يؤلفون هذه القصص نفسها فيسهبون في إطراء الأخلاق والعادات والتقاليد الشرقية

ولا يعيهم على هذا سوى النفاق والجهن لأن الفن لا يمكن أن يختلف من الحياة . فإذا كانت القبلة محرمة في الحياة فيجب أن تحرم في القصة . وكثيرا ما كنت أرى الفتى والفتاة يقبل أحدهما الآخر في سعادة في إحدى قهوات باريس . أما في مصر فإننا نجد مناظر مؤسفة كمنظر ذلك الشاب يتعقب فتاة في أحد الشوارع بالقاهرة وهو خائف يتلفت لئلا يلقى القبض عليه بوليس الآداب .

إن أجمل سنى العمر هي سنى الشباب وأجمل لحظات الشباب هي لحظات الحب . وحرام أن نحرم شبابنا هذه اللحظات السعيدة . وإجرام أن نحرمهم هذه التربية الذاتية للزواج بدعوى العادات والتقاليد كأننا ننسى أن هذه العادات والتقاليد هي التي جعلت ابن الرومي يرصد أكثر من مائة صفحة من ديوانه للأبيات البرازية أى في وصف البراز والمواط . والتي جعلت أبا نواس يذيب عبقريته في شتاات من الأبيات التي تتعفن وتلتمع بلمعة العفن .

وليست حياة الشبان أو الفتيات مع ذلك فاسقة كما توهم . بل هي أطهر مما نعتقد . وإذا كان هناك معنى للحب الطاهر فإن هذا المعنى أكثر شيوعاً في فرنسا منه في مصر . ذلك لأن المركز العالى الذى تحتله المرأة في المجتمع الفرنسى يجعل الشبان يتقدمون إليها بتقادم الحب في تقدير واحترام . لأن ما يدنس الحب هو أن ينخفض

مركز المرأة فيعاملها الشاب كما لو كانت خرقه يمسح بها شهواته أو
لعبة يقضى بها فراغه .

و حين ينتهى الحب بالزواج ، كما يحدث فى أغلب الحالات ،
تعود ذكريات الزوجين إلى تلك الأيام السعيدة التى قضياها قبل
الزواج . وتبقى كنزا جميلا يستلهمان منه الوفاق والسعادة .



أختر أرملة لك

كوارث الدنيا كثيرة . ويجب لذلك أن نحسب للأسوأ .
فنحن نختار الزوجة جميلة ، أو متعلمة ، أو من عائلة حسنة .
ولكن علينا مع ذلك أن نحسب للمكارثة التي قد تقع بنا . إذ قد
يموت الزوج بعد عشر سنوات أو عشرين من الزواج الهنيء . وعندئذ
تصير زوجته أرملة عليها تبعات من حيث تربية الأبناء والتصرف
بأموالهم التي خلفها لهم والدهم .

ولذلك يجب عندما تتزوج ألا تقتصر على السؤال : هل هذه
الفتاة تصلح لأن تكون زوجتي ؟ وإنما تزيد عليه بأن نسأل : هل
هي تصلح لأن تكون أرملة بعد وفاتي ؟

وخير الأراامل هي تلك التي كانت تعمل عملا حرا كاسبا قبل
أن تتزوج . ذلك أنها حين تتزوج تبادر إلى الوقوف على الحقائق
الاقتصادية . حرفة زوجها ، وممتلكاته . وطرق استغلاله لها ، فاذا
مات فانها لن تفاجأ بثروة تجهل أصولها وفروعها . وقد يندس فيها
من يخذعها أو يغشها اعتمادا على جهلها . ثم هي تستطيع بعد وفاة
الزوج أن تعود إلى عملها السابق وتكسب منه لأطفالها .
ولكن ليست جميع الزوجات على هذا الغرار أو هذه القدرة

وإذن يجب على الزوج المتبصر أن يحسب لهذا المستقبل المجهول
وأن يفرض أنه سيموت قبل زوجته وأن يعلمها كيف تدير أعماله
وثروته بعد وفاته .

وليس معنى هذا أن يصارحها بكل هذا الكلام الذي يؤلم . وإنما
هو يستطيع أن يشرك زوجته في أعماله بعد أن يوهما أو يفهما
أنه متعب لا يستطيع أن يذهب إلى الضيعة التي تغل له خمسمائة أو
ألف جنيه في العام . وعندئذ يرشدها إلى الطريقة التي تعرف بها
كيف تحاسب المستأجرين .

ويستطيع كذلك أن يكل إليها شراء بعض الأسهم في إحدى
الشركات بأن يسلمها مائتي جنيه ويطلب إليها ، لأنه متعب أو مشغول ،
أن تقصد إلى المصرف وتشتري هذه الأسهم ، وبعد شهر يكلفها
بيع هذه الأسهم سواء بالكسب أو الخسارة .

وهي بالطبع حين تشتبك في هذه الأعمال المالية ستجد نفسها
كل صباح تقرأ أخبار البورصة وتقلبات الأسعار في الأسهم وتعرف
متى يكون الخسار ومتى يكون الكسب .

وكذلك عليه أن يكلفها أداء الأقساط للتأمين والأقساط الأخرى
للعقارات المرهونة ثم يحسب معها مقدار ما لها في شركة التأمين وكم
يتبقى من الدين لفك الرهن عن عقاره المرهون .

يفعل ذلك بدعوى التعب أو أنه مرهق بالأعمال وأن عليها

أن تساعد. وهي عندما تدخل في غمار أعماله متجدد مسرة وارتياحا
ويشتغل بالها بما يزيد ثروتها . بل هي قد تشرع في وقف النفقات
الزائدة لأن احساسها بزيادة الثروة يحملها مسئوليات جديدة ووجهة
نظر جديدة تنحو نحو الجد والتبصر مع البعد عن الرعونه والطيش
في النفقات . لأنها مسئولة .

فاذا أحس الزوج أن منيته قد اقتربت فإنه يجب أن يساعد أرملته
على النهوض بتركته بأن يصفىها من القضايا والديون المعقدة . بل
كذلك عليه أن يتخلص من الشركاء الذين يتقدم مطامعهم بعد وفاته
حين يستضعفون زوجته ويحتالون عليها بغية اغتيال أموالها أو
الاستيلاء على أكبر مقدار منها .

هذا هو أهم فصل في كتاب جديد قرأته هذا الاسبوع وعبرته
عندنا هو الجرأة الصريحة على مواجهة الحقائق مهما يكن سوادها
حالكا . فان الموت لا مفر منه . وما دام المرجح أن الزوج سيموت
قبل زوجته فان عليه واجبا هو تهيئتها لأن تكون أرملة رزينة
عارفة بحقوقها وحقوق أولادها لا يستطيع أحد أن يخذعها
ويبلص حقوقها وحقوقهم منها .

ونعود فنكرر أن خير الأراامل هي تلك التي كانت تعمل قبل
الزواج وتكسب من عملها . لأن هذا العمل يكسبها عقلية اجتماعية

وتنبها اقتصاديا وتبصرا لمستقبل الأولاد . بل هي تستطيع أن
تعولهم إذا لم يكن الأب قد ترك لهم ما يعيشون منه .

وشر الأراامل هي تلك الجاهلة التي يثبت جهلها أمام المحكمة
المختصة (ما يقابل عندنا المجالس الحسبية) . فتعين لها وصيا من
أولئك التماسيح الذين يشربون دمها ودم أولادها وهي عاجزة
عن اثبات حقوقها أو صيانتها من السرقات والاختلاسات .



منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

سلامه موسى

في بطور



- يبلغ الاستاذ سلامه موسى سن السبعين في يناير من سنة ١٩٥٧ .
- بدأ حياته القلمية في سنة ١٩٠٩ بمقال في المقتطف عن الفيلسوف نيتشه .
- اشترك في تأليف الحزب الاشتراكي في سنة ١٩٢٠ .
- اتهم بقلب نظام الحكم سنة ١٩٤٦ وأنه يعمل لإيجاد جمهورية بدلا من الملكية .
- ألف نحو أربعين كتابا في الأدب والعلم والفلسفة والاجتماع .
- كتب تاريخ حياته في كتاب أصدره في سنة ١٩٤٧ بعنوان « تربية سلامه موسى » .
- اشتغل بتحرير الهلال من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٢٩ .
- حرر في البلاغ وأصدر المجلة الجديدة في سنة ١٩٣٠ .
- أسس جمعية « المصري للمصري » للدعوة إلى الاستقلال الاقتصادي بإيثار الصانع والتاجر المصريين على الأجانب

دار النشر المصرية